

أفول الاصنام

© أفريقيا الشرق

الطبعة الأولى 1996

رقم الإيداع القانوني 1271 / 1996

ردمك : 9 - 061 - 25 - 9981

NIETZSCHE

فريدريك نيتشه

أفول الأصنام



ترجمة

محمد الناجي

حسان بورقية

أفريقيا الشرق

الإهداء

إلى عزيزة السملالي...
ومحمد بوتخامت..

مدخل

إنني متورط في قضية شائكة وجد متطلبة، فالمحافظة على مرح رائق أمر لا يخلو من تجربة تتطلب القوة: ومع ذلك، أي شيء أكثر ضرورة من المرح؟ لا شيء يمكن أن ينجح ابدا إذا لم يمتزج به شيء من الوقاحة الطائشة. فالإفراط في القوة هو ما يبرر القوة. إن قلبا ما لكل القيم، علامة الاستفهام هذه، السوداء، المقلقة حتى إنها تلقي بظلها على الذي يطرحها - مهمة محملة بهذا المقدار باللعنة، هو ذاك ما يرغب على الإسراع كل آن إلى الشمس لتحرير الحمل الثقيل، المفرط الثقل، من جديته، من أجل هذا، كل وسيلة حسنة، كل "حظ" هو حظ سعيد. الحرب، في المقام الأول. لقد كانت الحرب دائما خدعة العقول المستنبطة بإفراط وقد غدت عميقة أكثر: في الجرح أيضا تكمن فضيلة شافية. هناك حكمة كانت

منذ زمن بعيد عملتي المفضلة، والتي أريد إخراج أصلها من
فضول المنقبين:

(*) *increscunt animi, virescit volnere virtus*

علاج آخر يبدو لي أنه، في حالات عديدة، ما يزال
مفضلاً، وهو الذي يركز على تسمّع الأصنام... في العالم من
الأصنام أكثر مما فيه من الحقائق: هذا ما علّمتنيه الـ"عينُ"
الـ"لأمة" التي ألقوها على العالم، وكذلك الـ"أذن الشريرة" التي
اصغى بها إليه. هنا أيضاً، تكون المساءلة بضربات مطرقة و،
من يدري، أن تكون جباية كل جواب "تجويّفه" الفاخر هذا،
الذي يدل على إحشاء فارغة - متعة وأي متعة للذي يملك عدا
أذنيه، آذانا أخرى، بالنسبة لي أنا عالم النفس الحاوي، الذي
يعرف كيف يرغم، كل ما يرغب في الصمت، على الكلام
بصوت عال.

هذه الصفحات - كما يشيء بذلك العنوان - هي قبل
كل شيء تسليّة، لفحة شمس، أو فسحة في خضم وقت
الفراغ الدراسي لدى عالم النفس. ربما تعلن كذلك عن حرب
جديدة؟ وربما تسمح لنا بالأصغاء إلى أصنام جديدة؟... إن
هذا الكتيب إعلان كبير للحرب. أما الأصنام التي يتعين
الأصغاء إليها، فهي ليست هذه المرة أصنام العصر، إنها أصنام

(*) (الازدياد قوة، القوة تعني الاخضرار. (م)

خالدة، نضربها هنا بالمطرقة كما لو بمعيار النغم -ليست هناك
اصنام اقدم منها، اشد وثوقية منها فيما فعلته، أكثر منها
تعجرفا بأهميتها... وليست هناك اصنام افرغ منها... وهذا لا
يمنعها من أن تكون هي الاصنام التي يؤمن بها الناس أكثر. ومع
ذلك فإن الناس لا ينادونها، خصوصا أكثرها تميزا،
بالاصنام...

تورينو 30 شتبر 1888
اليوم الذي تم فيه الكتاب
الاول من قلب جميع القيم

حكم وإشراقات

1

الفراغ أمّ كل علم النفس. واما بعد، ايكون كل علم
نفس... مفسدة؟

2

حتى اشجعنا نادرا ما يملك شجاعة تحمّل كل ما يعلم...

3

لكي يعيش الانسان وحيدا، عليه أن يكون حيوانا، أو إلها،
قال ارسطو. تبقى حالة ثالثة، عليه أن يكون الاثنين معا...
فيلسوفاً...

4

كل حقيقة بسيطة. أليس هذا افتراء مُضاعفاً؟

5

ثمة اشياء أود، نهائيا، الا أعرفها قط. فالحكمة تحدد تخوما حتى للمعرفة.

6

ما أقول ! ليس الانسان سوى احتقار للإله ! أم أن الاله احتقار للانسان.

8

ما لا يقتلني يقويني.. تعلمته في مدرسة الحياة الحربية.

9

تآزر يؤازرك الكل. هذا مبدأ حب القريب.

10

لا يعنن لكم أنكم حقيرون بخصوص تصرفاتكم، وأن عليكم أن تهملوها بمجرد وقوعها!... فتبكيك الضمير غير لائق.

11

هل يمكن لحمار أن يكون تراجيديا؟... أن يهلك تحت ثقل لا يمكن حمله ولا الالتقاء به؟... تلك حالة الفيلسوف.

12

عندما يعرف المرء "ما الغاية؟" من حياته. فإنه يرتاح تقريبا لكل "كيف؟" إن الانسان لا يصبو الى السعادة. وحده الانجليزي يفعل هذا.

13

الرجل هو الذي خلق المرأة. ثم إذن؟ من ضلع الهه - من "مثاله" ..

14

ماذا؟ أتسعى الى أن تتضاعف عشر مرات، مائة مرة؟ أتبحث عن مريدين؟ - فتش إذن عن أصفار!

15

إن الرجال البعديين - أنا، على سبيل المثال - نفهمهم اقل بكثير من أولئك الذين يسايرون زمنهم، لكننا نفهمهم أكثر. وبحصر المعنى، لم يسبق لنا أن فهمنا ابدا - وثمة مصدر سلطتنا.

16

فيما بين النساء: الحقيقة؟ آه، انكن لا تعرفن الحقيقة! أليست انتهاكا لكل حرماننا*؟

* وردت كلمة "حرماننا في النص الاصلي باللغة الفرنسية. وسائر الكلمات التي يعقبها هذا الترقيم (م)

17

هذا فنان كما أحب أن يكون الفنانون .. متواضع في
ضرورته الطبيعية. في الاصل، لا يطلب إلا شيئين اثنين
Panem et circen!

18

الذي لا يعرف كيف يوظف إرادته في الاشياء يضيف
عليها معنى ما على الاقل.. فذلك يوهم بأن ثمة فيها إرادة
مسبقا (أساس ال "إيمان").

19

كيف اخترتم الفضيلة والاحاسيس المتحمسة، وتطمعون،
في الآن ذاته، في امتيازات الاقل تشككا؟ - لكن باختيار
الفضيلة، نتخلى عن كل ال "امتيازات" - (لمقاوم السامية).

20

المرأة المتكاملة تقترف الادب كما تقترف خطيئة غير مميتة،
على سبيل التجربة، بلا إلحاح، بالتفاتها لكي ترى هل لحظناها،
أو لكي نلاحظها...

(1) خبزه وألعبه (م)

21

علينا أن نضع أنفسنا دائما في حالات لا يُقبل فيها امتلاك فضائل مزيفة، لكن، كما البهلوان على الحبل، حيث لا يمكن إلا أن نقع أو نتماسك - أو نتخلص من ذلك...

22

"الافظاظ لا يغنون" كيف يعقل أن يغني الروس؟

23

"العقل الالماني" هو، منذ ثمانية عشر سنة، في
1-Contraditio in adjecto

24

بعودتنا الى الاصول نصنع من أنفسنا سرطانا. المؤرخ ينظر الى الوراء: أخيرا، ينتهي به الامر الى أن يؤمن القهقري.

25

الاشباع يقي حتى من الزكام - هل سبق لامرأة مكسوة جيدا أن اصابها برد؟- (أو حتى إن كانت مكسوة بالكاد؟).

26

احتاط من كل صانعي الانظمة واتحاشاهم. ان روح النظام
نقص في النزاهة.

(1) في تناقض مع ذاته (م)

27

يعتبر الناس المرأة عميقة. لماذا؟ لانهم لا يلمسون العمق لديها أبدا. المرأة ليست حتى مسطحة.

28

عندما تكون للمرأة فضائل ذكورية يجب تجنبها. وعندما لا تكون لها فضائل ذكورية، فهي التي تهرب.

29

"فيما مضى، كم كان الوعي يحد ما يقضمه! كم كانت اسنانه قوية! والآن ما الذي ينقصه؟" سؤال طبيب اسنان.

30

نادرا ما نرتكب فعلا واحدا طائشا، ذلك اننا في البدء نفرط في التصرف على ذلك النحو. لهذا دأبنا على تكرار الجرم، وهذه المرة بأقل مما فيه الكفاية...

31

الدودة التي ندوسها تنطوي على نفسها. انها الحكمة عينها. انها بذلك تختزل امكانيات ان ترى نفسها مداسة مجددا، يسمى هذا في لغة الاخلاقيين: قواضعا.

32

هناك نوع من كره الكذب والرياء نابع من معنى حاد
للشرف. غير أن نفس الكره يمكن أيضا أن يكون محض جبن،
عندما يكون الكذب محرما بأمر الهي. من فرط جبنه لا
يكذب...

33

كم تتوقف السعادة على القليل من الأشياء! يقول صوت
مزمارة القربة... دون موسيقى تغدو الحياة خطأ. إن الألماني
يتصور الاله بنفسه يرتل الاناشيد.

34

"لا يمكن ان نفكر أو نكتب الا جالسين" * (غوستاف
فلوير). - تمكنتُ منك، أيها العدمي! ان تكون ذا مؤخرة
ثقيلة فتلك، بامتياز، خطيئة في حق العقل. وحدها الافكار
التي تأتينا ونحن ماشون لها قيمة ما.

35

ثمة حالات نتصرف فيها كالحبل، نحن علماء النفس،
ويداهمنا فيها القلق: نبصر ظلنا يتراقص امامنا. على عالم
النفس ان يكف عن النظر الى ذاته إذا أراد أن يبصر.

36

هل نسيء حقا، نحن اللاأخلاقيين، للفضيلة؟ قليلا، مثلما يفعل الفوضويون للأمراء. فهؤلاء لم يتوطدوا على عروشهم إلا بعدما أصبحوا هدفا. المغزى: أن نرمي الإخلاق.

37

أتسير في المقدمة؟ هل أنت راعي القطيع؟ أم أنك استثناء؟ إلا أن تكون، وهي امكانية ثالثة، جباناً؟ ... حالة الوعي الأولى.

38

هل أنت صادق؟ أم مجرد هزلي؟ أتمثل شيئا ما؟ أم أنك أنت الممثل؟ في النهاية، قد لا تكون سوى محاكاة للممثل... حالة الوعي الثانية.

39

الخائب الظن يتحدث: أبحث عن رجال عظام، وما وجدت سوى رجال يقلدون مثلهم الأعلى.

40

أنت من الذين يشاهدون العرض، أم من الذين ينجزون عملا ما بأنفسهم؟ أم من أولئك الذين يغضون الطرف، يتنحون جانبا؟ حالة الوعي الثالثة.

41

هل تريد أن تسير مع القطيع؟ في المقدمة؟ أم بجانبه؟...
يجب أن نعرف ماذا نريد وأنا نريد شيئاً ما. حالة الوعي
الرابعة.

42

لقد كانوا بالنسبة الي عبارة عن ادراج استعملتها لكي
أرتقي - كان لزاما علي، من أجل هذا، أن أعبر فوقهم، ان
اتجاوزهم. غير أنهم كانوا يظنون انني سأستريح فوقهم...

43

غير مهم ان ينتهي الامر بالناس الى تصويبي، فأنا على
صواب قليل. والذي يضحك اليوم جيداً سيكون آخر من
يضحك.

44

صيغة سعادتي : "نعم"، "لا"، خط مستقيم، هدف...

قضية سقراط

1

لقد حمل اعظم الحكماء، في كل عصر، نفس التصور عن الحياة: انها عديمة القيمة... لما يقولونه عنها، دائما وفي كل مكان، نفس النبيرة، نبيرة شك، كآبة مبهمة، ضجر من الحياة، مقاومتها. سقراط نفسه، لحظة احتضاره، قال: "ما الحياة سوى مرض عضال، انا مدين بديك لأسليبيوس المخلص". "سقراط نفسه كان قد أنف من الحياة. علام يدل ذلك؟ ماذا يؤكد؟ فيما مضى، كنا سنقول (اوه، لقد قلنا ذلك، وبصوت عال، متشائمونا في المقام الاول) "لابد، مع ذلك، أن يكون ثمة شيء حقيقي في كل هذا إن Consensus Sapientium¹ يثبت الحقيقة" هل يمكننا، اليوم كذلك، ان نقول بمثل هذا؟ هل لنا الحق في

(1) اجماع الحكماء (م)

ذلك؟ ... "لابد ان ثمة علة في كل هذا!" - ذاك جوابنا، يلزم ان نشاهد هؤلاء الحكماء العظام عن كذب! لعلهم كانوا جميعا غير ثابتين على اقدامهم؟ ربما كانوا من طراز مئخار؟ متذبذبين؟ منحطين*؟ لعل الحكمة لا تظهر على الارض الا على هيئة غراب يهيجه عفن جيفة مكتوم؟...

2

اما فيما يخصني، لان ما ألهمني وقاحة اعتبار الحكماء العظام أمثلة للانحطاط هو بالضبط الحالة التي يكون فيها الانحطاط في أشد تناقض مع احكام المثقفين والامين المسبقة: لقد عرفت كيف اكشف، لدى سقراط وأفلاطون، اعراض فساد الاصل، دلائل تدهور الهلينية، الاغريقيين المزيفين، "المضادين للإغريق" (ميلاد التراجيديا 1872).

إن إجتماع الحكماء هذا - الذي صرت افهمه افضل: يدل بالاحرى على أنه كان يوجد فيما بين هؤلاء الحكماء جميعهم وفاق من نوع فزيولوجي يؤدي بهم الى تبني نفس الموقف السلبي اتجاه الحياة - وإلى عجزهم عن فعل اي شيء بخلاف ذلك - إن احكاما ما، أحكام قيمة عن الحياة، مع أو ضد الحياة، لا يمكنها ابدا ان تكون حقيقية، في نهاية المطاف: لا قيمة لها الا كأعراض لا تستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار الا كأعراض، ذلك أن احكاما مثل هاته ليست، في حد ذاتها،

سوى حماقات. على المرء أن يكلف نفسه عناء ملامسة هذه الرقة المدهشة وأن يحاول الإمساك بها: لن يمكن تقييم قيمة الحياة. ليس من طرف حي، لأنه جزء من الخلاف، بل موضوع خلاف، ثم لأنه ليس قاضيا؛ ليس من طرف ميت، لسبب مخالف تماما. أن يرى الفيلسوف، من جانبه، في قيمة الحياة معضلة، هو ذا ما يتنطق ضده، هو ذا ما يضع حكمته موضع شك، أو يؤكد لا حكمته. ماذا؟ ألن يكون كل الحكماء العظام سوى منحطين* لن يكونوا حتى حكماء؟ لكنني أعود إلى قضية سقراط.

3

كان سقراط ينتمي، بالولادة، الى أكثر الدهماء دونية: كان سقراط رجلا الشعب. نعرف، ويمكن كذلك ان نلاحظ كم كان سمجا. لكن القبح، الذي كان في حد ذاته اعتراضا، كان بالنسبة للاغريق مبرر رفض، تقريبا. من جهة اخرى، هل كان سقراط اغريقيا؟ غالبا ما تكون السماجة تعبيرا عن تهجين، عن نمو معاق بفعل التهجين. في حالات اخرى تكون شهادة على تطور منحرف. الإناسيون من بين علماء الاجرام يقولون لنا إن المجرم المميز سمج: Monstrum in animo¹ monstrum in fron . بل المجرم منحط*. هل كان سقراط

(1) قبيح الخلقة، قبيح الاحساس / القلب (م)

مجرما مميزا؟ على أية حال، لن يكون ذلك مناقضا لهذا الحكم الشهير الذي نطق به فراس، ووجده اصدقاء سقراط جارحا. خلال مروره بأثينا، قال غريب خبير بالوجوه لسقراط، مباشرة، بأنه قبيح وبأنه ينطوي على اقبح العيوب وأسوأ الشهوات. وقد اكتفى سقراط بأن اجاب: "لشد ما تعرفني جيدا!"

4

إن ما يُعتبر علامة انحطاط لدى سقراط، ليس الاضطراب الفوضوي للغرائز الذي كان قد اعترف به فحسب، بل كذلك تضخم ملكة الجدل وخبث الكسيع الذي يميزه. لا يجب ان ننسى ايضا تلك اللوثات السمعية، والتي تم تأويلها دينيا تحت اسم "الجن السقراطي". كل شيء فيه زائد عن حده، Buffo¹ ، كاريكاتوري، لكن في الآن ذاته كل شيء مستتر، مبروم، غامض. انني اجهد نفسي لمعرفة المزاج الذي وجدت منه هذه المعادلة السقراطية: عقل = فضيلة = سعادة، اغرب المعادلات الممكنة، والتي تقابلها، على الخصوص كل غرائز الاغريق القدامى.

6

لا نوثر الجدل إلا إذا عدنا وسائل اخرى. نعرف اننا نشير به الحذر وانه يُقنع قليلا. لا يوجد هناك شيء تسهل إزالته مثل

(1) ضفدع (م)

تأثير المنطيق ؛ ذلك ما تؤكده تجربة كل اجتماع يخطب فيه الناس . لا يمكنه أن يكون إلا سلاح صدفة بين يدي اليائسين الذين لا يملكون أسلحة أخرى . ولا يلجأ المرء إلى ذلك إلا إذا كان عليه أن ينتزع حقه عنوة . لهذا كان اليهود مناطيق . كذلك كان Maître Renart . ثم ماذا؟ سقراط ايضا؟

7

هل كانت سخرية سقراط تعبيرا عن تمرد؟ عن ضغينة عامية؟ هل كان المقموع الذي كانه، يلتذ بضراوته الخاصة لدى كل طعنة من الجدل الشكلي؟ هل كان يثار من الأرستقراطيين الذين كان يفتنهم؟ ان بين يدي المنطيق اداة تطال كل شيء. يسوِّغ لنفسه التشبه بالمستبددين: بانتصاره يعرض الخصم للخطر. يفوض المنطيق الى خصمه البرهنة على أنه ليس غيباً: يفجر سخطه، يصيِّره أعزل في الآن ذاته. إن المنطيق يشل عقل غريمه. ماذا؟ ألن يكون الجدل لدى سقراط سوى شكل من أشكال الانتقام؟

8

لقد لحنتُ ما كان يمكن ان يظهر سقراطُ فيه مثيرا للاشمئزاز، فلا غنى عن تفسير قدرته على الفتنة. أحد الاسباب انه اكتشف ضربا جديدا من ال"مصارعة"، وأمسى فيها المحارب الاول في الأوساط الارستقراطية الاثينية. لقد فتن الاغريق بالتوجه الى غريزة "المصارعة" لديهم. ادخل تنوعا في ألعاب الميدان بين الفتيان والشباب. كان سقراط كذلك ايروسيا كبيرا.

لم يكن هذا هو حدس سقراط الوحيد. لقد أبصر ما كان يحتجب وراء نبلاء أثينا. فهم ان حالته، ان خاصية حالته لم تعد بعد حالة منعزلة. كان نفس النوع المنحط يتهاى في صمت في كل مكان: أثينا القديمة كانت تقترب من حتفها. وقد ادرك سقراط ان الكل كان بحاجة اليه - بحاجة الى اسلوبه، الى معالجته، الى وصفته الشخصية حول حفظ النوع... في كل مكان كانت الغرائز تغرق في الفوضى؛ في كل مكان كان الانسان يشرف على المغالة. كان الخطر الكوني هو *Monstrum in animo*. لقد أرادت الغرائز أن تستبد: يجب إذن ان نختلق مستبدا مضادا يكون اقوى منها"... عندما كشف ذلك الفراس الشهير لسقراط ما كان عليه، كهفا من الشهوات القبيحة، نطق الساخر الكبير بكلمة تمثل مفتاح الشخصية. "صحيح، قال، غير أنني سيطرت عليها كلها". كيف سيطر سقراط على نفسه؟ إن حالته لم تكن في الحقيقة سوى الحالة القصوى، تلك التي كانت تظهر للعيان، حالة شر عام كان آنذ قد بدأ ينتشر: لم يعد أحد يتمالك نفسه: كانت الغرائز تنتصب ضد بعضها البعض. إذا كان يفتن فلأنه كان هذه الحالة القصوى التي كان قبحة الفظيع يعبر عنها في نظر الكل: غير انه كان يفتن اكثر، هذا مسلم به، لأنه كان جوابا، حلا، مظهرا مضللا للشفاء من هذا الداء.

عندما نكون بحاجة الى أن نجعل من العقل مستبدا، كما فعل سقراط، فلا بد ان يكون خطر رؤية كل شيء آخر يتظاهر بالاستبداد، كبيرا: في تلك الحقبة احس الناس فطريا بأن العقلية (Rationalité) كانت الامل الاخير للخلاص: فلا سقراط ولا "مَرْضَاهُ" اختاروا طوعا أن يكونوا منطقيين - كان ذلك - لازما بالنسبة اليهم، كان ملاذهم الاخير. ان التعصب الذي يهاجم به كلُّ الفكر التأملّي الاغريقي العقلية يكشف عن ضيق حقيقي. كان الانسان في خطر، ولم يكن له من اختيار سوى الاضمحلال او التظاهر بأنه منطقي حتى العيث... ان اخلاقية الفلاسفة الاغريق انطلاقا من افلاطون محددة بدوافع مَرْضِيَّة. كذلك الحالة التي يخلّقونها من الجدل. إن المعادلة: "عقل=فضيلة=سعادة" تعني فقط: يجب ان نفعل مثل سقراط، وان نقيم ضد الشهوات المظلمة نورا سرمديا: نور وضح نهارالعقل. يجب ان يكون المرء صاحيا، واضحا، منيرا، مهما كان الثمن؛ كل تنازل لصالح الغرائز، لصالح اللاشعور، يقود الى الهاوية...

لقد لحت في اي شيء كان سقراط يفتن: كان يبدو طبيبا، مخلصا. أما يزال ضروريا إبطال الخاطئ في إيمانه بـ "عقلية

مهما كان الثمن؟" من جهة الفلاسفة والاخلاقيين يعتبر الاعتقاد بالانفلات من الانحطاط بمجرد التحيز ضده، انخداعا. ليس في مقدورهم الانفلات منه: إن ما يختارونه كوسيلة، كأمل اخير للخلاص، ليس في نهاية المطاف الا مظهرا من مظاهر الانحطاط-يدلون التعبير عن ذلك، لا يلغونه. سقراط، في كليته، يقوم على سوء فهم. كل اخلاقية الكمال، بما فيها المسيحية، تقوم على سوء فهم... إن النور الاكثر تعمية، إن العقلية مهما كان الثمن، الحياة المشبعة، الباردة، النبيهة، الواعية، المجردة من الغرائز، المقاومة للغرائز، لم تكن الا مرضا في حد ذاتها، مرضا آخر، لم تكن ابدا عودة الى الـ"عافية"، الى "السعادة"... ان يرغم المرء على مقاومة غرائزه - تلك هي صيغة الانحطاط* مادامت الحياة تسلك منحني تصاعديا، فالسعادة تساوي الغريزة.

12

... هل فهم هو نفسه ذلك، هو الاكثر دهاء من بين كل اولئك الذين خدعوا انفسهم؟ هل اعترف بذلك لنفسه في اللحظة الاخيرة، في حكمة جسارته على الموت؟... لقد أراد سقراط ان يقضي نحبه: - ليست اثينا، انه هو نفسه الذي مد لنفسه كأس سم الشوكران، لقد ارغم اثينا على ان تمدها اياه... "سقراط ليس طبيبا، همس لنفسه: وحده الموت هو الطبيب.. اما سقراط فلم يكن الا مريضا لزمان طويل..."

الـ «عقل» في الفلسفة

1

ستسألوني عن كل ما يتعلق، لدى الفلاسفة، بالمزاج؟ إنه، مثلاً، غياب الحس التاريخي لديهم، حقدهم على فكرة الصيرورة نفسها، "مِصْرِيَّتُهُمْ". يعتقدون انهم يجدون قضية ما بـ "تجريدتها من تاريخها"، باعتبارها Aeternie Sub¹ Specie، بتحنيطها. كل ما دبره الفلاسفة منذ أَلْفِيات لم يكن سوى موميات افكار؛ لاشيء حقيقي خرج حياً من بين ايديهم. عندما يتدله هؤلاء السادة المولوعون بالمفاهيم المجردة يقتلون، يحشون بالقش، يعرضون كل شيء لخطر الموت. الموت، التحول، الهرم، كما الانجاب والنمو، تثير لديهم معارضة ما، إن لم نقل دحضا! ما هو كائن لا يصير، ما يصير غير كائن... ومع ذلك يؤمنون جميعاً، بقوة اليأس، بالكينونة.

1- تقترب من مظهر الخلود. (م)

وبحكم أنهم يعجزون عن ادراكها، يبحثون عن مبررات لتفسير كونها تنقلت منهم. "يلزم ان يكون هناك ظاهر خادع، ان يكون هناك خداع، حتى لا ندرك الكينونة! أين يكمن ما يخدعنا إذن؟ (...). خبرناه، يصيحون بذهول، إنها الحواس!... هذه الحواس التي هي، فضلا عن ذلك، جد لا أخلاقية، تضللنا بخصوص العالم الحقيقي. المغزى: يجب التحرر من وهم الحواس، من الصيرورة، من التاريخ، من الرياء! ليس التاريخ سوى ايمان بالحواس، ايمان بالكذب. المغزى.. أن تقول لا لكل أولئك الذين يؤمنون بالحواس، لبقية البشرية جمعاء: ليست الا "دهماء"! إذن أن يكون الانسان فيلسوفا، أن يكون موميا، أن نرمل "الوحدانية الرتيبة" بإيمائية قبارا ولا يتحدث إلينا، خصوصا، عن الجسد - هذه الفكرة المتسلطة* والمحنة عن الحواس! - الملطخ بكل إخطاء المنطقية الممكن تصورها، المرفوض، بل المستحيل رغم وقاحة تصرفه وكأنه موجودا!...

2

استثني اسم هيراقليط، مع كامل الاحترام الواجب له. في الوقت الذي كانت فيه بقية النسل الفلسفي ترفض شهادة الحواس لأنها تبدي التنوع والتحول، كان هو كذلك يرفض شهادتها، لكن لأنها كانت تعرض المواضيع وكأنها موهوبة

الواحدية والديمومة. لقد كان هيراقليط هو الآخر جائرا بالنسبة للحواس. فهذه لا تكذب إطلاقا. إن ما نفعله بشهادتها هو الذي يقحم فيها الافتراء، هو سبب تشويهنا لشهادة الحواس. مادامت الحواس تكشف عن الصيرورة، عن اللاتبات، عن التحول، فإنها لا تكذب غير أن هيراقليط سيظل أبدا على صواب عندما جزم بأن الكينونة وهم بلا معنى. وحده العالم "الظاهر" هو الموجود، وما العالم "الحقيقي" سوى كذب نضيفه إليه.

3

وفي حواسنا، كم نملك من أدوات دقيقة للملاحظة! هذا الانف، مثلا، الذي لم يسبق لأي فيلسوف أن يتحدث عنه بتوقير وامتنان، هو الآن أكثر الأدوات التي نمتلكها رهافة.. إنه قادر على أن يتبين في الحركة أدنى الاختلافات التي لا يكتشفها مطياف¹. ليس لنا، في اللحظة الراهنة، عالم إلا في النطاق الدقيق حيث عزمنا على قبول شهادة حواسنا - حيث نستخدمها مرة أخرى، نقويها، حيث تعلمنا أن نذهب إلى أقصى معرفتها. أما البقية كلها فمجهضة، أو ماتزال قبل -علمية.. أعني الميتافيزيقا، اللاهوت، علم النفس، الاستمولوجيا - أو علما شكليا صرفا، نظرية علامات: كعلم المنطق، وهذا المنطق التطبيقي، أقصد الرياضيات. لا وجود فيها

للواقع ابداء، ولو كمسألة، كما لا وجود فيها لمسألة معرفة قيمة اصطلاح سميولوجي مثل المنطق.

4

ليس الطبع الآخر للفلاسفة اقل خطورة: فهو يرتكز على الخلط بين ما يتقدم وما يتأخر. إن ما يتأخر، لسوء الحظ، لأنه ما كان ليحدث أبدا، أعني المفاهيم "السامية" أي العامة جدا، آخر سديم الواقع المتبخر، يصنفونه في البداية، وبمثابة بداية. هنا ايضا، لايزيد هذا عن ترجمة طريقتهم في احترام الاشياء المقدسة: بالنسبة اليهم، لا يليق بال «أعلى» ان يولد وأن ينمو... المغزى: كل ما هو من الطراز الاول يجب أن يكون *causa sui*.¹ عيب بالنسبة اليهم، ان يولد في شيء آخر، ذلك ينقص من قيمته. كل القيم السامية من الطراز الاول، كل المفاهيم السامية، الكينونة، المطلق، الخير، الحق، الكمال، لا شيء منها امكنه أن يكون «في صيرورة»، وبالتالي لا يجب أن يكون سوى *causa sui*. بل لا يمكن لاي واحدة من هذه المجردات أن تكون غير معادلة للأخريات، أو في تناقض معها.. من هنا فكرتهم المدهشة عن «الاله»... إن الاخير، الاضعف، الافرغ، هو ما نضعه في الاصل، كعلة في ذاته، ك-*ens realis*... *simum*... عندما نفكر في كون البشرية قد اخذت هذيانا هذه الادمغة مأخذ الجد! وأي ثمن أدت عن ذلك...

(1) علة في ذاته (م)

الآن سنقابل هذا بالطريقة المختلفة تماماً التي نفكر بها نحن (أقول «نحن» من باب الادب) في قضية الخطأ والصواب. فيما مضى، كان التطور، التحول، الصيرورة، هو ما نعتبره دليلاً على الخاصية الخادعة للظواهر. نعتبره علامة على وجوب وجود شيء ما يخدعنا، إننا الآن، على عكس من ذلك، في النطاق الدقيق الذي يفرض علينا فيه الحكم العقلاني المسبق أن نعمد الى الوحدة، الى الهوية، الى الديمومة، الى الماهية، الى السببية، الى الموضوعية، الى الكينونة، نتبين أننا، بشكل ما قد وقعنا في الخطأ، اننا **مُكرهون ومُجبرون** على الخطأ، الى حد أن تحقيقاً صارماً قمنا به حول انفسنا قد اقنعنا بأن ثمة يكمن الخطأ. هنا يجري الامر كما بالنسبة لحركة الشمس: في هذه الحالة الاخيرة عيوننا هي التي لا تكف عن الدفاع عن الخطأ، في الاولى، لغتنا هي التي تقوم بذلك. إن اللغة، بحكم أصلها، تعود إلى ازمة شكل علم النفس الاكثر بدائية: ان نعي الظروف الاولى لميتافيزقا اللغة، او على الاصح، **لل عقل**، يعني ان نتعمق في ذهنية مُتِيمة¹ بغلاظة. انها لا ترى، في كل مكان، سوى افعال وكائنات فاعلة، تؤمن بالارادة كعلة، تؤمن بال «أنا»، بال «أنا» بما هو كينونة، بال «أنا» بما هو ماهية، وتُسقط على سائر الموضوعات إيمانها بماهية الانا- هكذا يُخلَق

مفهومُ ال «شيء» ... في كل مكان، بخداع، يدخل الفكر الكينونة بما هي علة. فقط انطلاقاً من مفهوم ال «ذات» نستعير فكرة ال «كائن» اشتقاقاً. لقد كان الخطأ المميت، في بدء الأشياء هو الاعتقاد بأن الإرادة شيء يفعل - بأن الإرادة ملكة... اليوم، نعرف أنها مجرد كلمة... فيما بعد وبوقت طويل، في عالم «مستنير» أكثر، اكتشف الفلاسفة، باندعاش، الأمان، اليقين الذاتي في استعمال المقولات العقلانية: استخلصوا أنها لا يمكن أن تنبثق من التجربة المبنية على الملاحظة والاختبار، ذلك أن تلك التجربة كانت تتعارض فيها. من أين تنبثق إذن؟ في الهند كما في السودان تم ارتكاب نفس الخطأ: كان ينبغي أن نقيم في عالم علوي (عوض عالم أدنى، وهو ما كان سيكون الحقيقة)، كان ينبغي أن نكون إلهيين

ما دمنا قد وهبنا العقل... في الحقيقة، لاشيء أبدا كانت له قدرة الاقتناع الأكثر سذاجة مثل خطأ الكينونة، مثلما صاغه الأيليون، على سبيل المثال: ذلك أنه يحوز كل كلمة، كل جملة تلفظ بها. خصوم الأيليين أنفسهم قد استسلموا لإغراء مفهومهم عن الكينونة: ديمقريطس، من بين آخرين، عندما اخترع ذرته... ال «عقل» في اللغة: يالها من عجوز كريهة مضللة! أخشى ألا يكون بإمكاننا التخلص من الإله، لأننا ما زلنا نؤمن بالنحو.

سيعترف الناس لي بالجميل ولا شك، لكوني اوجزت في اربع اطروحات وجهة النظر هذه، المهمة بهذا المقدار، والجديدة بهذا الوجه: بذلك سأبسط فهمها وأدعو الى دحضها:

الاطروحة الاولى:

إن البراهين التي نعتمد عليها لنصف "هذا" العالم بالظاهر تثبت بالعكس حقيقته - يستحيل مطلقا ان نقيم الدليل على نوع آخر من الحقيقة.

الاطروحة الثانية:

إن العلامات المميّزة التي نسندھا الى "الوجود الحق" للأشياء هي علامات مميزة للآ وجود، لل "عدم" - لقد اوجدنا "ال عالم الحق" بمخالفتنا للعالم الحقيقي: انه في الحقيقة عالم ظاهر، في نطاق كونه وهم وجهة نظر واخلاق.

الاطروحة الثالثة:

ان نخرف عن عالم آخر غير عالمنا مسألة لا معنى لها، الا إذا افترضنا ان غريزة تحقير الحياة، تنقصها والارتياح فيها قد تكون لها الغلبة فينا. اننا، في هذه الحالة، ننتقم من الحياة بمواجهتها بمشهد خارق من حياة "أخرى" و"أفضل".

الاطروحة الرابعة:

إن تقسيم العالم الى عالم "حقيقي" و "عالم ظاهر" سواء على الطريقة المسيحية، او على طريقة كانط (الذي ليس في نهاية الامر سوى مسيحي مستتر)، لا يمكن ان يصدر الا بإيعاز من الانحطاط*، ولا يمكن ان يكون الا علامة حياة آفلة... وكون الفنان يرفع الظاهر فوق الحقيقة لا يرهن عن اية معارضة لهذه الاطروحة. لان ال "ظاهر" هنا يعني كذلك الحقيقة مكررة، لكنها منقاة، مدعمة، مصححة... الفنان التراجيدي ليس متشائما، فهو يقول "نعم" بالضبط لكل ما هو اشكالي ومرعب، انه ديونيسي...

حتى نختم، كيف غدا ال "عالم الحقيقي" خرافة. تاريخ خطأ

- 1- العالم الحقيقي، الذي يسهل بلوغه على الانسان الحكيم، الورع، الفاضل - يحيا فيه، انه هذا العالم.
(أقدم شكل للفكرة، أنها فطنة نسييا، ساذجة، مُقنعة.
تفسير العبارة: "انا، افلاطون هو الحقيقة")
- 2- العالم الحقيقي، المنيع الآن، لكن الموعود به الانسان الحكيم، الورع الفاضل ("المذنب الذي يتوب.")
(تقدم الفكرة: تترقى، تمسي اكثر استهواء، اكثر انفلاتا -
تصبح امرأة، تصبح مسيحية...)
- 3- العالم الحقيقي، المنيع، الذي لا يمكن ادراكه ولا اقامة الدليل عليه ولا الوعد به، لكن الذي يكون مجرد التفكير فيه عزاء، التزاما، امرا قطعيا.

(الشمسُ القديمة في القعر لكن المخرقة للضباب
والشكوكية: الفكرة وقد اوضحت رائعة، شفافة، شمالية،
كونيغسبرغية (*))

4- العالم الحقيقي - منيع؟ على اية حال، غير مُدرك بعد.
وبما انه غير مدرك فهو مجهول. لا يمثل عزاء ولا التزاماً: فيم
سنلزم من طرف شيء نجهله؟

(فجر رمادي. اول تناوب للعقل. صيحة ديك الوضعية).

5- ال "عالم الحقيقي" فكرة لم تعد صالحة لاي شيء. لم
تعد تدعو لاي شيء - فكرة غير نافعة، غير مجدية، اذا فكرة
مرفوضة: لنبطلها.

(طلع النهار، فطور، عودة الحس السليم* والمرح. حمرة
خجل تعلو جبين افلاطون، كل العقول الحرة تحدث ضجيجاً
فظيعاً).

6 - لقد أبطلنا العالم الحقيقي: اي عالم تبقى؟ لعله
الظاهر؟ لا ! لقد ابطلنا عالم المظاهر مع العالم الحقيقي في الآن
ذاته

(الظهيرة: ساعة الظل الاقصر، نهاية أطول خطأ. ذروة

البشرية ZARATHUSTRA INCIPIT¹

(1) مستهل زارادشت (م)
Koenigsbergienne (*)

الاحلاق طبيعة مضادة

1

لكل النزوات زمنٌ تكون فيه مضرة، تجذب فيه ضحيتها الى الاسفل بكل ثقل البلاهة، وزمن آخر، متأخر جدا، تتآلف فيه مع الروح، "تَتَرَوِّحَنُ". كان الانسان فيما مضى، بسبب من الحماسة الكامنة في النزوة، يكبت النزوة ذاتها، كان يُقسم على هلاكها. كل وحشي الطباع الواعظين تُجمع اراؤهم : يجب ان نقضي على النزوات " (*) توجد اشهرُ عبارة في العهد الجديد، في "موعظة على الجبل". حيث، بين قوسين، لم تُرَ الاشياء من عل اطلاقا. قيل هناك، على سبيل المثال - وينطبق هذا على الجنسية - : اذا كانت عينك موضوع ذنب لك فاستأصلها". من حسن الحظ أن اي مسيحي لم يعمل بهذا الامر. إن استئصال النزوات والشهوات فقط لا تُقَاء حماقتها أو

النتائج المغضبة لحماقتها يبدو لنا اليوم مجرد شكل صارخ من الحماقة. اننا لا نستحسن ابدا اطباء الاسنان الذين يقتلعون الاسنان كي تكف عن الالام... يجب مع ذلك ان نعترف بأن الارضية التي نمت فيها المسيحية لم تكن فكرة "روحنة النزوة" ذاتها حتى لتتصورَ فيها. لقد كانت الكنيسة الاصلية، كما هو معروف، تقاوم ال "اذكياء" لصالح "ضعيفي النباهة": كيف كان سيُنْتَظَر منها حرب "ذكية ضد النزوة؟ إن الكنيسة تحارب النزوة بِتَرِها، بكل معاني الكلمة. ان ممارستها، "معالجت" ها، هي ال "اخصائية". انها لا تسأل ابدا: "كيف يمكن لنا ان نروحن شهوة ما، ان نجمّلها، ان نمجدها؟ لقد اكدت في تربيتها دائما على الاستئصال (استئصال الشبقية، الكبرياء، ارادة الامتلاك، الجشع، الرغبة في الانشقاق). إن مهاجمة النزوات من الجذر تعني مهاجمة الحياة من الجذر، ان praxis¹ الكنيسة معاد للحياة .

2

إن الذين ليست لهم ارادة كافية لكبح شهوة ما، أو لا يستطيعون الزام انفسهم بذلك لكونهم مُتَدَنِّين جدا، قد اختاروا، فطريا، نفس الوسيلة (اخصاء، استئصال) في مقاومتهم لها، اختارتها هذه الامزجة التي هي بحاجة الى

(1) تطبيق الكنيسة العملي (م)

الأغوية² ، بالمعنى المجازي (او حتى حرفيا)، باختصار، هي
بحاجة الى اعلان رسمي للضعف، الى **قطيعة** عنيفة بينها
وبين أهوائها. إن الوسائل الجذرية لا تكون ضرورية الا
للمتدنيين: فالافتقار للإرادة، أو بالضبط العجز عن عدم
الاستجابة لاغراء ما، لا يمثل في الواقع إلا شكلا اخر من
التدني. إن الضغينة الجذرية، القاتلة، اتجاه الغرائز تظل عَرَضاً
مقلقاً، فهي تبيح كل الشكوك بخصوص الحالة العامة لكائن
قادر على مثل هذه الانحرافات... هذه الضغينة وهذا الحقد لا
يصلان، من جهة أخرى، إلى منتهاهما الا عندما لا تكون لمثل
هاته الامزجة القوة الكافية للخضوع لعلاج جذري، للتخلي
عن "شيطان" هم. يكفي ان نتفحص بسرعة كل تاريخ الكهنة
والفلاسفة، مع ادراج الفنانين معهم: كل السمات الخبيثة التي
تم التكلم بها ضد الشبقية لم تكن من طرف الواهنيين ولا من
طرف المتزهدين، بل من طرف المتزهدين الفاشلين، من طرف
أولئك الذين كانوا بحاجة لان يكونوا نساكا...

3

تُسمى روحنة الشبقية حباً: إنه انتصار كبير على
المسيحية. انتصار آخر هو رُوحنة الحميمية: إنها تقتضي أن
ندرك جيداً كم هو ثمين أن يكون للمرء أعداء: باختصار، إنها
تقتضي أن نفعل وأن نستنتج عكس ما كنا نفعل وما كنا

نستنتج سابقا. لقد ارادت الكنيسة، دائما، أن تقضي على أعدائها: أما نحن، اللاأخلاقين، الدجالين، فنجد مصلحتنا في بقاء الكنيسة... في السياسة كذلك أصبحت العداوة الآن أكثر "عقلانية"، ذكية جدا، متعقلة جدا، اعتدالية جدا. كل حزب تقريبا يدرك أنه من صالحه الخاص، إذا أراد أن يستمر، أن لا يضعف الحزبُ الخصمُ كثيرا. هذا ينسحب كذلك على السياسة الـ "كبرى" للأمم. اختراع جديد، بالخصوص، "امبراطوريت" نا مثلا بحاجة الى الاعداء أكثر مما هي بحاجة الى الاصدقاء. ولا تحس انها ضرورية، ولا تسمى كذلك الا حين تتعرض للمعارضة. اننا لا نتعامل بخلاف ذلك مع "عدونا الداخلي": هنا ايضا طبعنا العداوة بالروحانية، وهنا ايضا ادركنا "قيمتها": لا يمكن ان نكون "مخصبين" إلا بهذا الثمن: ان نكون كثيري التناقضات. لا يمكن ان نظل "شبابا" إلا شريطة أن لا تخلد النفس للراحة، ان لا يشدها الشوق الى الطمأنينة... لم يعد هناك شيء اغرب علينا مما كان يبدو جد مطلوب فيما مضى: "طمأنينة النفس"، هذا الطموح المسيحي كلية. ليس ثمة شيء نشتهيهِ اقل مثل صفاء البقرات الروحي والسعادة المليئة براحة الضمير... ان العدول عن الحرب هو رفض لعظمة الحياة... مؤكداً أن "طمأنينة النفس" لا تقوم في حالات عديدة، الا على سوء فهم... إنها شيء آخر لا نعرف أن نطلق عليه اسما أكثر صدقا. هذه دون دوران

أو أحكام مسبقة، بعض الامثلة. يمكن الا تكون «طمأنينة النفس» سوى الاشباع المعتدل للبهيمية الخصبية التي تأخذ صبغة اخلاقية (أو دينية). أو بدء الضجر، الظلمة الاولى التي يلقي بها المساء، وكل مساء، بلا استثناء... أو أيضا الدليل على أن الهواء رطب، وأن رياح الجنوب ستهب... أو الامتنان اللاشعوري لهضم جيد (يسمى هذا احيانا "حب الانسانية") ... أو سكينه الناقه، الذي يأخذ كل شيء، بالنسبة له، نكهة جديدة، والذي ينتظر... أو الحالة التي تعقب الاشباع التام لنزوتنا المهيمنة، الهناء الذي ينجم عن شبع نادر جدا. أو الوهن الشيخوخي لارادتنا، لشهواتنا، لرذائلنا.. أو الكسل، الذي يحمله غرورنا على تصنع الاخلاق. أو أيضا الظهور المفاجئ ليقين ما، ولو كان مخيفا، بعد توتر الشك وعذابه الطويلين. أو التعبير عن النضج وعن المهارة التي تنبثق في لحظة الفعل، في لحظة النشاط الخلاق، في لحظة السلوك العقلي، في لحظة الارادة، يهدأ التنفس، تُدرَك "حرية الاختيار" ... أفول الاصنام: من يدري؟ لعله نوع من "طمأنينة النفس" كذلك...

4

سأصوغ مفهوما. شيء طبيعي في الاخلاق، كل اخلاق سليمة تسودها غريزة من غرائز الحياة - ان يستجيب كل قانون

من قوانين "يجب عليك" و "ولا يجب عليك" دائما لواحدة من وصايا الحياة، هكذا يتم على الدوام استبعاد عائق ما أو مقاومة ما لسبل الحياة. إن الاخلاق المضادة للطبيعة، أي تقريبا الاخلاق الملقنة، الممجدة، المنصوح بها الى هذا اليوم، تسير، على العكس تماما، ضد غرائز الحياة... إنها إدانة سرية تارة وتارة عنيفة ومجلجلة، لهذه الغرائز. بقولها "إن الاله يستبطن القلوب" تقول "لا" لأدنى الرغائب كما لأسمى اماني الحياة، وتضع الاله عدوا للحياة... إن القديس الذي يرضي الاله هو المحصي المثالي... ينتهي امر الحياة حيثما تبدأ "مملكة الرب"

5

يكفي أن ندرك ما في التمرد على حياة من نوع تلك التي اصبحت شبه قُدوسة في الاخلاق المسيحية من تدنيس لكي نفهم كذلك، لحسن الحظ، شيئا آخر: نفهم ما في مثل هذا التمرد من عديم النفع، من غرار، من عبثي، من خادع. إن إدانة الحياة المستتنة من طرف كائن حي ليست في نهاية الامر سوى مؤشر على نموذج معين من الحياة: بل حتى مسألة معرفة ما إذا كانت هذه الادانة مبررة ام لا تطرح. يلزم أن يكون المرء خارج الحياة، وفضلا عن ذلك، أن يفهمها اكثر من أي كان، أكثر من الكثيرين، اكثر من أولئك الذين عاشوها، لكي يكون له الحق فقط في أن يعرض لقضية قيمة الحياة: هنا كالعديد من

الحجج التي تؤكد على أن المسألة ليست في متناولنا. عندما نتحدث عن القيم فإنما نتحدث بوحى، نتحدث في وجهة نظر الحياة عينيها: إن الحياة هي التي تحملنا على وضع القيم، إن الحياة هي التي "تقوم" من خلالنا في كل مرة نضع فيها قيما... ونشأ عن ذلك ان هذه "الطبيعة المضادة" نفسها، التي هي **الاخلاق**، والتي تضع الاله نقيضاً وإدانةً للحياة، ليست في حد ذاتها الا حكم قيمة عن الحياة عن أي حياة؟ عن أي نوع من الحياة؟ الجواب، سبق أن قدمته: الحياة الآفلة، الضعيفة، الضجرة، المذمومة. ان الاخلاق، كما فهمت حتى الآن - كما صاغها شوبنهاور في نهاية المطاف، كـ "نفي لارادة الحياة" - هذه الاخلاق هي **غريزة الانحطاط** * نفسها كأمر: تقول: **"إِهْلِكْ"**. إنها الحكم الصادر عن المحكوم عليهم...

6

وحتى نختم، لتأمل كم هو ساذج أن نقول: «يجب على الانسان أن يكون هكذا أو كذلك!» فالواقع يقدم لنا عددا هائلا من النماذج، وفرة غزيرة من تمثيل لا متناه لاشكال والتحويلات، وإذا بأي شخص من الاخلاقيين المستعدين لاي شيء يقول لنا: "لا! يجب على الانسان ان يكون بخلاف هذا!"... بل إن هذا المنافق المشؤوم يعرف حتى كيف يجب على الانسان ان يكون: انها صورته الخاصة التي تأمر عليها

صائحا: "Ecce Homo" ¹ فحتى عندما لا يفتأ الاخلاقي يتوجه الى المرء ويقول له: "هكذا او كذلك يجب عليك ان تكون"، فإنه لا يكف بذلك عن جعل نفسه هزأة. ليس المرء، ايا كانت الزاوية التي ننظر منها اليه، سوى جزء من Fatum ² ، ليس سوى قانون اضافي، ضرورة اضافية لكل ما سأتي وما سيكون. فأن نقول له: "تغير" يعني ان نطالب ايضا بأن يتغير الكل، وبأثر رجعي كذلك... هذا وقد وجد اخلاقيون منطقيون مع انفسهم: لقد كانوا يريدون الانسان مخالفا، يعني فاضلا، كانوا يريدونه على شاكلتهم، يعني منافقا، لذلك كانوا ينكرون الدنيا! ليس هذا بالجنون الضعيف، ليس هذا شكلا متواضعا من السفاهة! إن الاخلاق في كونها قديين في المطلق وليس بالقياس الى الحياة، أو مراعاة للحياة، هي خطأ جوهري لا يوحى بأية شفقة، ويتعلق بمزاج منحط اساء سابقا بلا حدود... اما نحن، نحن الآخرين، نحن اللاأخلاقين، فقد فتحنا قلبنا كبيرا، على العكس، لكل تفهم، لكل تفكير، لكل موافقة- لا نحب أن نقول لا، نراهن بشرفنا لنكون أولئك الذين يقولون "نعم". نعرف بصورة افضل كيف ندرك هذا الادخار الذي ما يزال بحاجة إلى كل ما ترفضه غباوة

(1) هذا الانسان (م)

(2) القدر (م)

القس المقدسة، ما يرفضه عقل القس المريض، نعرف كيف
نستغل ذلك: نُدرك هذا الادخار في قوانين الحياة التي تعرف
كيف تستفيد حتى من هذا النوع الحيواني الكريه، نوع
المنافق، القس، الانسان "الفاضل" ... أية افادة، ستقولون؟ اننا
نحن، نحن اللاأخلاقيين، هم الجواب عن هذا السؤال...

الاططاء: الاربعة الكبرى

1

الخطأ الاول: عدم التمييز بين العلة والمعلول :

ليس هناك خطأ اخطر من الخلط بين العلة والمعلول، إنه ما أسميه الانحراف الحقيقي للعقل. ومع ذلك فإن هذا الخطأ من العادات البشرية الأكثر قداماً والأكثر معاصرة، بل هو مقدس لدينا، ويحمل اسم الـ"دين" والـ"اخلاق". كل اقتراح يصوغه الدين والاخلاق يتضمّنهُ؛ ويُعتبر الكهنة والمشرعون الاخلاقيون اصل انحراف العقل ذاك. وهذا مثال على ذلك. كل الناس يعرفون كتاب الشهير كورنارو الذي يوصي فيه بحميّته الهزيلة، وصفة حياة مديدة، سعيدة، وفاضلة كذلك. قليلة هي الكتب التي قرئت بهذا الشكل؛ اليوم ايضاً، في انجلترا، يعاد طبعه كل سنة بآلاف النسخ. في نظري، لا شك ان قلة من الكتب، (باستثناء الكتاب المقدس، كما وجب

عليه) هي التي أساءت بهذا القدر، التي قصرت حيوات، أكثر من هذا الفضول المفعم بالنيات الحسنة. والسبب؟ عدم التمييز بين العلة والمعلول. كان هذا الايطالي الطيب يرى في حميته **علة** طول عمره: في حين أن علة حميته الهزيلة كان هو التباطؤ غير العادي للتحويل الغذائي، الاستهلاك الطاقوي الضعيف، أي الشرط الأول للتعمير. لم يكن حرا في أن يأكل أكثر أو أقل، لم يكن زهده في المأكل قرارا حرا - "اختياره الحر": لقد كان يمرض حين كان يأكل كثيرا. لكن عندما لا يكون المرء سبوتا¹ فليس من الأفضل له، بل يجب عليه، أن يأكل كفاية. لو أن عالما ألزم بحمية كورنارو، في أيامنا هذه، فسيهلك بها نهائيا، مع استهلاكه السريع للطاقة العصبية.

¹-crede experto

إن أكثر الصيغ التي نجدتها في أصل ديانة وكل اخلاق شُوعا هي: "افعل هذا وذاك، وامتنع عن هذا وذاك - هكذا ستصبح سعيدا! وإلا...". كل اخلاق، كل ديانة، هي هذا الامر - اسميه خطيئة العقل الاصلية الكبرى، الغباوة الخالدة. في فمي تتحول هذه الصيغة الى ضدها، - المثال الاول عن "قلبي لكل القيم". ان انسانا كاملا، "فانيا سعيدا" مجبر على القيام بأفعال معينة ويتراجع فطريا امام اخرى، ينقل النظام الذي يمثله فزيولوجيا الى علاقته مع الناس والاشياء. ليكن، في

(1) صدّقوا من جرب (م)

عبارة أوجز: إن فضيلته هي نتيجة سعادته... ليست الحياة الطويلة، الخلف الكثير، هما أجر الفضيلة، بل إن الفضيلة نفسها هي تباطؤ التحول الغذائي الذي، من بين أشياء أخرى، يسبب أيضا عمرا مديدا، خلفا كثيرا، باختصار، ال "كورنارية"*. تقول الكنيسة والاخلاق: يبد عرق، شعب، بالترف والفسق. أما عقلي المجدد فيقول، "عندما يسارع شعب الى هلاكه، عندما يتدهور جسديا، ينتج عن ذلك الفسق والترف (اي الحاجة الى الاغراءات الاكثر حيوية والاكثر شيوعا دائما، التي يلتذ بها مزاج متعب). هذا الشاب يصبح شاحبا ومجعدا قبل الاوان. يقول اصدقائه: ان هذا المرض او ذاك هو السبب. اقول: إن كونه قد اصاب بالمرض، كونه لم يقاوم المرض، كان في حد ذاته نتيجة حياة بئيسة وإضناء وراثي. قارئ الجرائد يقول: "بسبب من هذا الخطأ يحكم هذا الحزب على نفسه بالفشل". وعلمي السياسي انا، الذي ينظر الى الاشياء من الاعلى، يقرر: ان حزبا يرتكب أخطاء مماثلة قد انتهى امره - لم يعد لديه يقينه الفطري، كل خطأ، بكافة معاني الكلمة، هو نتيجة لانحطاط الفطرة، لتفكك الارادة: هذا تقريبا تعريف كل ما هو قبيح. كل حسن فطري: وبالتالي سهل، ضروري، حر. كل عسير مشتبه فيه: ان الاله مختلف نموذجيا عن البطل (في لغتي: الاقدام الخفيفة هي الصفة الاولى للألوهية).

(*) نسبة إلى كورنار (م)

خطأ سببية غير مبررة:

اعتقدنا، على مر العصور، اننا قد أدركنا ما هي العلة؛ لكن من أين أخذنا هذه المعرفة، أو بالضبط، زعمنا أننا على بينة من هذا الامر؟ من حقل هذه "المعطيات الداخلية" المشهورة، حيث لم يتبين حتى الآن أن واحدا منها كان "معطى" فعليا. كنا نعتقد اننا نحن انفسنا، في الفعل الارادي، سببية؛ وهنا، على الاقل، كنا نفكر في مفاجأة السببية في حالة تليس. لم نكن كذلك نشك في أن ¹ antecedentia فعل ما، أسبابه، كان يجب البحث عنها في الشعور، واننا لو بحثنا عنها لعثرنا عليها فيه على شكل "مبررات": وإلا لما كنا احرارا في القيام بهذا الفعل، ولما كنا مسؤولين عنه. وفي الاخير من كان يعارض ان يكون لفكر ما سبب؟ ان يكون الانا سبب الفكر؟... من بين هذه "المعطيات الداخلية" الثلاثة التي يبدو انها تؤكد انها السببية، الاول والاكثر اقتناعا هو الارادة معتبرة كسبب: إن تصور الشعور ("العقل") باعتباره سببا، ثم بعدئذ، تصور الانا (انا "الذات") باعتبارها سببا، لم يتكرر الا بعد فوات الاوان: بمجرد ما قبلت الخاصية السببية للارادة كواقع ثابت، كواقع تجربة... منذئذ نظرنا الى الامر عن كثب. والآن لا نصدق أي شيء من ذلك. إن "العالم الداخلي" متزعج بالالوهام الخادعة والامور الزائلة: إن الارادة تبدو بلا فائدة حقيقية. لم تعد الارادة تحرك شيئا، وبالتالي لم تعد تفسر شيئا.

إنها لا تزيد على أن تصاحب أحداثاً، بل يمكنها أن تغيب كلية. أما ما يتعلق بال "مبرر" المزعوم: فخطأ آخر. إنه مجرد ظاهرة سطحية للشعور، مجرد مُجانبٍ للفعل، يُخفي سوابق فعل عوض أن يجسدها. وماذا نقول عن الانا! لقد أصبح خرافة، خيالاً، تلاعباً بالالفاظ: لقد كف تماماً عن الاحساس، عن التفكير، وعن الإرادة!... ماذا ينجم عن ذلك؟ انعدام أدنى سبب عقلي! ال "تجربة" المزعومة التي كانت تؤكده تروح الى الجحيم! هو ذا ما ينجم عنه! - ولقد ارتكبنا هفوات كبيرة بهذه ال "تجربة". لقد خلقنا العالم، من خلالها، كعالم سببي، كعالم إرادة، كعالم عقول. ان أطول وأقدم علم نفس هو الذي كان يشتغل هنا، لم يفعل أي شيء آخر: كان كل ما يحدث، بالنسبة اليه، فعلاً، كان كل فعل نتيجة لإرادة، لقد امسى العالم، بالنسبة اليه، تعددية "فاعلين"، حيث يتسرب وراء كل حدث طراً فاعل ("ذات"). لقد اسقط الانسان خارج ذاته "المعطيات الداخلية"، أي ما كان ايمانه به راسخاً، الإرادة، العقل، الانا. اشتق اولاً مفهوم الكينونة من مفهوم الانا، وضع ال "اشياء" على صورته، كموهوبة الكينونة، من خلال فكرته عن الانا الذي اعتبر سبباً. فهل نستغرب لكونه لم يجد ابداً، فيما بعد، في الاشياء الا ما سبق ان وضعه فيها؟ إن الشيء نفسه، أكرر ذلك، إن مفهوم الشيء، هو مجرد انعكاس بسيط للاعتقاد في أنا قد تكون علة. حتى ذرتكم،

ايها السادة الإواليون والفزيائيون، كم من خطأ، كم من سيكولوجية بدائية ما تزال قائمة فيها، في حالة بقيا¹! دون أن نتحدث عن ال "شيء في ذاته"، Horrendum Pudendum¹ المتأفزيقين هذا! خطأ العقل الذي اعتُبر سبباً، الذي اختلط بالحقيقة! وأُثبتَ كمعيار للحقيقة! وسمي إلهاً!

4

خطأ العلل الوهمية:

حتى ننطلق من الحلم: إننا نُسند، بعد فوات الأوان، وبشكل تعسُفي، علة (عادة ما تكون رواية صغيرة يكون فيها الحالم هو الشخصية الرئيسية) الى احساس محدد نحس به، مثلاً، إثر طلقة مدفَع في مكان بعيد. في هذه الاثناء يتمدد الانطباع على شكل صدى: ينتظر تقريبا، ان تسمح له الغريزة "السببية" بأن يحل في المقام الاول - ليس كصدفة هذه المرة، بل كـ "دلالة". تظهر طلقة المدفع بطريقة سببية في تعاكس زمني ظاهر. يأتي الاحساس بالعنصر الثاني، اي بالتحفيز، بمثابة الاول زمنياً، عادة مع مئة جزئية عابرة كالبرق - وتأتي طلقة المدفع فيما بعد... ماذا حدث؟ لقد فهمت التمثلات المتناسلة عن بعض ترتيبات اللحظة، خطأ، على أنها العلة نفسها. في الواقع، إننا نفعل الشيء ذاته في حالة اليقظة.

(1) مربع ومخجل (م)

اغلب الاحاسيس الغامضة - كل انواع الانزعاج، الضغط، التوتر، الانفجار الناتج عن حركة وتفاعل الاعضاء، كحالة sympathicus nervus¹ تحرك غريزتنا السببية: نريد أن نجد مبررا لاحساسنا بهذه الطريقة أو تلك - لكوننا في أحسن حال أو اردائها. ولا يكفيننا ابدا ان نتأمل امر وجودنا في هذه الحالة او تلك: لا نقبل هذا الامر، لا ندركه، الا حينما نكون قد وهبناه بعض التحفيز. إن الذكرى التي تتدخل في هذه الحالة، دون علم منا، تبعث من جديد حالات ذات نفس الطبيعة سبق ان أحسنا بها، كذلك التأويلات السببية التي ترتبط بها بطريقة مبهمه، لا سببيتها الحقيقية. صحيح أن الذكرى تبعث أيضا الاعتقاد بأن التمثلات وأفعال الشعور التي تصاحب الظاهر هي مسبباتها. هكذا ينشأ اعتياد على تأويل سببي معين يعوق، في الحقيقة، بل ويستبعد البحث المعمق عن الاسباب.

5

التفسير النفسي لما سبق:

أن نُخرج شيئا من المجهول الى المعلوم أمر يريح، يطمئن، يربي، ويمنح، فوق ذلك، إحساسا بالقوة. مع المجهول يظهر الخطر والقلق والوهم - أول حركة فطرية نقوم بها تميل الى استبعاد هذه الحالات المكدرّة.

(1) المشاركة الوجدانية العصبية (م)

المبدأ الأول: أن يكون هناك تفسير كيفما كان افضل من ان لا يكون هناك أي تفسير. وبما أن الامر لا يتعلق، في الواقع، الا بالرغبة في التحرر من التفسيرات المقلقة فإننا لا نبدو متشددين بوسائل إبعادها: الفكرة الاولى التي يبدو أن المجهول غدا معها معلوما تحقق ارتياحا كبيرا بدرجة "اعتبارها حقيقة". تبرير اللذة (أو الفعالية) كمعيار للحقيقة... هكذا يثير الشعور بالخوف غريزة السببية ويهيئها. في الاغلب، لا يجب ان تمنح "لماذا؟" العلة لذاتها الا نوعا معيناً من العلة: علة مطمئنة، تخلص وتريح. النتيجة الاولى لهذه الحالة هي أن يُتخذَ شيء معلوم مسبق، معاشاً عن تجربة، مثبتاً في الذاكرة، كعلة. إن كل شيء جديد، غريب، مجهول، غير مقبول كعلة. لا نكتفي، كذلك، بأن نلتمس نوعاً معيناً من التفاسير كعلة، بل صنفاً من التفاسير انتُخب بعناية وحظي بالامتياز، تلك التي تسمح، غالباً وبأسرع ما يمكن، بإقصاء الشعور بالمجهول، بالجديد، بالغريب: أي التفاسير الشائعة جداً. النتيجة: أن نموذجاً معيناً من التفاسير يتغلب أكثر فأكثر، يتكاثر على شكل نظام، وينتهي بأن يهيمن كلية على العلل والتفاسير أو بالاحرى يقصدها بلا قيد ولا شرط. وفي الحال يفكر الصيرفي في "الاعمال"، المسيحي في "الخطيئة"، الفتاة في حبها.

استناد مجموع المجال الاخلاقي والديني على تصور العلل الوهمية هذا:

"تفسير الانطباعات المزعجة. إنها محدّدة من طرف كائنات معادية لنا (عقول مؤذية، في أشهر الحالات. مهسترات اعتبرن ساحرات خطأ). هذه الانطباعات تحددها حركات لا يمكن لنا أن نقبلها (توعّد فيزيولوجي يُعزى الى الاحساس بالـ "خطيئة" أو إلى "التعرض للخطأ" - تكون لنا دائما اسباب عدم الرضى عن النفس). إنها تحدد كعقاب، كعقوبة على شيء لم يكن علينا ان نفعله، لم يكن علينا ان نكونه - وهو ما أطلقه شوبنهاور على شكل وقح، في جملة تظهر فيها الاخلاق كما هي: سمّامة وثلاثية الحياة: "كل ألم عظيم، ماديا كان أو معنويا، لا يترجم إلا ما نستحقه، ذلك انه لا يمكن ان يصيبنا إذا لم نكن نستحقه! (العالم كإرادة وتمثل 2.666). هذه الانطباعات هي نتيجة لحركات طائشة، ذات نهاية مكدرّة (نتيجة مجموعة الانفعالات، الغرائز، المفترض أنها "أثيمة" شدائد فيزيولوجية مؤوّلّة، بواسطة شدائد أخرى، على أنها مستحقّة"). تفسير الانطباعات المفرحة. تحدد بالثقة في الاله. تحدد بنتيجة الاعمال الصالحة (راحة الضمير" المزعومة، حالة فيزيولوجية تشبه حالة هضم جيد حتى لِيَلْتَبَس الامر). هذه الانطباعات يحددها الختام السعيد لبعض المشاريع (استنتاج ساذج. إن

باسكال أو مُصابا بوسواس المرض لن يجني اي انطباع مفرح من الختام السعيد لمشروع ما). إنها تحدّد بالايمان، بالشفقة، بالامل، بالفضائل المسيحية. في الحقيقة، كل هذه التفاسير المزعومة حالات متتالية، وهي، تقريبا، ترجمة لحالات شعور باللذة أو الكرب الى لغة غير ملائمة: نكون في حالة أمل لأن الاحساس الفزيولوجي الاساسي قويٌ وخصب مجددا، نشق في الاله لأن احساسا بالكمال والقوة يمنحنا الطمأنينة. إن الاخلاق والدين يستندان كلية على سيكولوجية الخطأ. في كل حالة تختلط العلة والمعلول: إما أن الحقيقة تختلط مع أثرها نعتقد أنه حقيقي؛ وإما ان حالة من حالات الوعي تختلط مع الخاصية السببية لهاته الحالة.

7

خطأ حرية الاختيار:

لم يعد لنا الآن أي تسامح مع مفهوم "حرية الاختيار"، لا نعرف معناه الا قليلا - انها أكبر حيل المراوغة المشبوهة التي يمارسها علماء اللاهوت الذين يهدفون الى جعل البشرية "مسؤولة" الذي يريدون، اي جعلها اكثر تبعية لعلماء اللاهوت... لن أثير هنا سوى سيكولوجية كل "تحميل مسؤولية عام". كلما سعينا الى "سَن المسؤولية" فإن ارادة العقاب والمحكمة هي التي تعمل. إن اسناد أمر ان نكون بهذه

الطريقة أو تلك إلى إرادة، إلى نيات، إلى أفعال مسئولية، هو إفراغ للصيرورة من براءتها. لقد ابتُكرت نظرية الإرادة أساساً لغايات العقاب، أي بـ "رغبة في التجريم". إن علم النفس القديم، علم نفس الإرادة، قد انبثق من كون أصحابه، الكهنة الذين كانوا على رأس الجماعات القديمة، أرادوا أن يمنحوا أنفسهم حق فرض عقوبات، أو إعطاء مثل هذا الحق للإله... إن كانوا قد تصوروا رجالاً "أحراراً" فلهدف واحد، لكي تمكن محاكمتهم وإدانتهم، لكي يصيروا مذنبين: بالتالي، كان يلزم قطعاً أن تُفهم كل حركة على أنها كانت ارادية، أن يُفهم أصل كل حركة على أنه كان كامناً في الشعور (وهو ما يوضح جعل المكر الأكثر جذرية in psychologicis¹ أساس علم النفس ذاته...). اليوم، الآن وقد انخرطنا في الاتجاه المعاكس، الآن بالخصوص، وقد تعهدنا بكل قواننا، نحن اللاأخلاقيين، بأن نبطل مفهوم الخطأ ومفهوم العقاب وأن نطهر علم النفس، التاريخ، الطبيعة، المؤسسات والقوانين الاجتماعية منهما فإنه لا يوجد، في نظرنا، خصوم أشد عزماً من علماء اللاهوت الذين ما يزالون، بمفهومهم عن "النظام الأخلاقي الكوني"، يُعدّون براءة الصيرورة بـ "العقاب" و"الخطأ". إن المسيحية هي متافيزيقا الجلاد...

(1) في علم النفس (م)

ماذا يمكن ان تكون عقيدتنا الوحيدة؟ أن لا يهب احد للإنسان مزاياه: لا الاله، لا المجتمع، لا اباؤه ولا أسلافه، ولا هو نفسه (إن الفكرة العبثية التي ابعدها الان كانت قد لقنت تحت اسم "الحرية المعقولة" من طرف كانط، وربما من طرف افلاطون قبله). لا أحد يتحمل مسؤولية وجوده، تكوُّنه بهذه الطريقة او تلك، كونه في هذا الظرف او ذاك، في هذا الوسط او ذاك، لا يمكن ان نستثني الطابع القدرى لوجوده من الطابع القدرى لكل ما كان ولكل ما سيكون. إنه ليس نتيجة نية خاصة أو إرادة أو قصدية، إنه لا يمثل محاولة الوصول إلى "المثل الانساني الاعلى"، الى، مثل السعادة الاعلى "أو إلى "مثل الاخلاق الاعلى". من العبث ان نريد دفع وجودنا الذاتى الى قصدية ما بعيدة. نحن هم من اخترع مفهوم الـ "غاية": اما في الواقع فالغاية غائبة. لا بد منا، نحن جزء من القدر، نحن جزء من كل، نحن كائنون في هذا الكل - لاشيء يمكنه ان يحكم على كينونتها ان يزنها، أن يقارنها، أن يدينها، لأن ذلك سيعني الحكم على الكل، وزنه مقارنته، إدانته.. على أن خارج الكل لاشيء هناك. ألا يكون احد مسؤولا أبدا، ألا يُرجع بنمط الوجود أبدا إلى una prima causa¹ ، ألا يكون العالم، سواء كـ sensorium² أو كـ "عقل"، وحدة:

(1) علة أولى (م)

(2) أحاسيس (م)

هذا وحده هو التحرير الاكبر - من هنا، ومن هنا فقط،
أصلحت براءة الصيرورة... لقد كانت فكرة الاله حتى الان
الاعتراض الرئيسي ضد الوجود.. إننا نبحر الاله، ننفي
المسؤولية عن الاله: بهذا فقط، ننقذ العالم.

الذين يريدون «إصلاح» البشرية

ما أطلبه من الفيلسوف معلوم: أن يتموضع ما وراء «خير» و«شر» ان يكون فوق وهم الحكم الاخلاقي. هذا الطلب نابع من استنتاج كنت أول من صاغه: ليست هناك حقائق اخلاقية. يشترك الحكم الاخلاقي مع الحكم الديني في الايمان بحقائق ليست في شيء. تشترك الاخلاق مع الحكم الديني في الايمان بحقائق ليست في شيء. ليست الاخلاق الا تفسيراً - او بتعبير أدق، تفسيراً خاطئاً لبعض الظواهر. يوصل الحكم الاخلاقي، مثله مثل الحكم الديني، إلى جهل ينعدم فيه مفهوم الواقعي نفسه، ينعدم فيه التمييز بين الواقع والمتخيل، بحيث أن "الحقيقة" لا تمثل، على هذا المستوى سوى اشياء نسميها اليوم "أوهاما". في هذا لا ينبغي أبداً أن يؤخذ الحكم الاخلاقي بحرفيته: إنه، بما هو كذلك، لا يتضمن سوى

اللامعنى. لكن باعتباره علم أعراض فإنه يظل ذا ثمن لا يقدر، إنه يكشف، للذي "يعلم" على الأقل، أثنى الحقائق ذات الثقافات والحساسيات اللاواعية التي لم تكن [أي الحقائق] تعرف عنها كثيرا لكي «تفهم» ذاتها هي. ليست الاخلاق سوى لغة رمزية، سوى «مبحث أعراض»: يجب أن نعرف مقدما ما الذي يتعلق به الامر لكي ننتفع بها.

2

لنبدأ بمثال اول. لقد أراد المصلحون، على مر العصور أن يصلحوا الناس، أن يصيروهم "أفضل": هذا ما كان يسمى "أخلاقا" قبل أي شيء آخر. لكن نفس اللفظ يشمل أشد الميول تنوعا. لقد سمي "ترويض" الحيوان الانساني و"تدجين" نوع من الناس، "تحسينا": وحدها هاته المصطلحات المستعارة من علم تربية الحيوانات تعبر عن حقائق - حقائق لا يعرف عنها أكبر من يمثل أولئك الذين يريدون "إصلاح" الانسان شيئا، لا يريد أن يعرف عنها شيئا أعني بذلك القس... القول بأن ترويض حيوان ما هو "جعله أفضل" يكون له في آداننا وقع الهزء. الذي يعرف ما يحدث في الحضائر يشك في كون الحيوان الاعجم يصير فيها "أفضل". إنهم يوهنونه، يصيرونه أقل خطرا، يجعلون منه حيوانا مرضيا بالتأثير المحبط للخوف، بالألم، بالجراح وبالجوع. ولا يختلف الامر عن ذلك بالنسبة

للإنسان المدجن الذي "أصلحه" القس. إبان العصور الوسطى الممعة في القدم، يوم كانت الكنيسة مجرد حضيرة كبيرة، كانت تتم مطاردة أجمل أنواع "الحيوان الاشقر"، كان يتم "إصلاح" الجرمانيين الرائعين، مثلاً - لكن ما الذي صار يشبهه، بعد ذلك، الجرمانى "المصلح" والمجذوب إلى دير غدرا؟ صار يشبه رسماً ساخراً للإنسان، صار يشبه سقطاً: لقد صار "مذنّباً"، كان في قفص، كانوا يحتفظون به أسير أفكار مرعبة... وكان يجثم هناك، مريضاً، مثيراً للشفقة، حاقداً على نفسه، ممتلئاً غيظاً ضد الدوافع الحيوية، كله شكوك بخصوص كل ما كان لا يزال قويا وسعيداً... باختصار، صار "مسيحياً"! إذا تكلمنا عن الناحية الفزيولوجية لا يمكن، في الصراع ضد الحيوان الاعجم، أن تكون هناك وسيلة أخرى لإضعافه غير المرض. هذا ما أدركته الكنيسة: فقد أفسدت الإنسان أضعفته، لكنها ادعت أنها "أصلحت"ه...

3

• لنأخذ الحالة الأخرى من الاخلاق المزعومة، حالة "تدجين" جنس ونموذج معينين. أروع مثال على ذلك تضربه لنا الاخلاق الهندية المرفوعة الى مقام الدين تحت اسم "قوانين مانو". فهي تفرض أن تتم تربية أربعة أنواع من الجنس البشري في وقت واحد: نوع كهنوتي، نوع محارب، نوع التجار

والمزارعين، وأخيرا نوع الخدم، أي نوع السُّودرا. جلي أننا لم نعد لدى مروضي الشُّقر¹: يستلزم الأمر نموذجا من الانسان اكثر وداعة وتعقلا مائة مرة كي يستطيع فقط أن يفهم مثل هذا البرنامج. عند الخروج من الجو المسيحي، جو المستشفى والزنزانة، نتنفس إذ نلج هذا العالم الاكثر صحية، الاكثر علوا، الاكثر رحابة. كم هو بئيس هذا "العهد الجديد" إذا ما قورن بمانو؛ وكم رائحته نتنة! لكن احتاج هذا التنظيم كذلك لأن يكون مرعبا، - هاته المرة، ليس في صراعه ضد الحيوان الاعجم، لكن في صراعه ضد نقيضه، الانسان الذي لا عرق له، المزيج الخلاسي Tchandala . هاته المرة أيضا، لم يكن له من وسيلة لجعله غير مؤذ، ليضعفه، سوى أن يصيره مريضا-، وكان الصراع ضد "أكبر عدد". قد لا يكون هناك شيء أشد مناقضة لاحساسنا من هاته التدابير الوقائية التي تتخذها الاخلاق الهندية فالمرسوم الثالث مثلا (Avadana- Sastra) . مرسوم "الخضر الغير الطاهرة" يقضي بأن الخضر الوحيدة التي يجب أن يسمح بها للمنبوذين (Tchandala) هي الثوم والبصل، على اعتبار أن الكتاب المقدس يحرم أن يُعطاهم الحب والفواكه ذوات الحب، أو الماء أو النار. يوضح نفس المرسوم أن الماء الذي هم في حاجة اليه، لا ينبغي أن يغترف

1- الشقر: حيوانات متوحشة ذات شعر أشقر كالأسود والضياء والأياثل.

من مجاري الماء، أو من العيون، أو من البرك، بل فقط من جوانب المستنقعات ومن حفر الماء التي تنحفر تحت حوافر المواشي. يحرم عليهم كذلك أن يغسلوا ثيابهم أو أن يغتسلوا، لأن الماء الذي حظوا به لا ينبغي أن يستعمل إلا لإرواء الضمأ. يأتي في الأخير منع نساء السودرا من مساعدة نساء المنبوذين أثناء الولادة، بل ومنع هؤلاء الاخيرات من مساعدة بعضهن... لم يتأخر نجاح هاته الشرطة الصحية : أوبئة قاتلة، أمراض تناسلية فظيعة، وفوق كل هذا، " قانون المذبة " الذي كان يقر الختان للأطفال الذكور واستئصال الشفتين الصغيرتين للإناث: مانو نفسه يقول: المنبوذون هم نتاج الزنا، نتاج زنا المحارم والجريمة " تلك كانت العقوبة الحتمية لمفهوم التدجين نفسه ". لا يجب أن يمتلكوا من اللباس سوى المزق التي انتزعت من جثث الموتى، ولا من الأواني سوى الخزفية المكسورة، ولا من الحلبي سوى الخردة، ولا ينبغي أن يكون لهم احتفال قداسي سوى تعبد العفاريت الشريرة. يجب أن يتيهوا من مكان الى آخر باستمرار. يحرم عليهم أن يكتبوا من اليسار الى اليمين وأن يستعملوا اليد اليمنى للكتابة: فاستعمال اليد اليمنى والكتابة من اليسار الى اليمين يختص بهما الافاضل، يختص بهما ذوو النسب.

هاته التقارير بالغة الدلالة: نرى فيها الانسانية الآرية في حالتها الخالصة، الاصلية، - تعلمنا أن فكرة "الدم الخالص" ليست فكرة غير مؤذية، بل على العكس تماما. من جهة أخرى، نرى بجلاء لدى اي شعب تأبد هذا الحق، حقد المنبوذين على "هاته الانسانية"، نرى حيث أصبح هذا الحق دينا، حيث أصبح نبوغا... من وجهة النظر هانه تعتبر الأناجيل وثيقة من الطراز الاول، وأكثر من ذلك كتاب إنوخ. المسيحية، الناتجة عن أصول يهودية، والتي لا تفسر الا كنبات انبتته نفس التربة، تمثل الحركة المعاكسة، تمثل رد فعل ضد كل اخلاق التدجين، اخلاق النسب، اخلاق الامتياز: انها الديانة المضادة للآرية بامتياز*. المسيحية قلب لكل القيم الآرية، انتصار لقيم المنبوذين، بشرى يُبشِّرُ بها المتواضعون والفقراء، ثورة المداسين والتعساء والمشوهين والمخفقين العامة ضد الـ "نسب"، إنها انتقام المنبوذين الأبدى مقدما كدين المحبة...

تساوى أخلاق التدجين واخلاق الترويض فيما يتعلق بالوسائل التي تستعملها لفرض نفسها. يمكن ان نفترض انه لكي نقيم أخلاقا يجب أن نطلب عكسها عن قصد. تلك هي المشكلة الكبيرة، المشكلة المزعجة، التي تأملتها اطول مدة:

نفسية الذين يريدون ان "يصلحوا" الانسانية، صنيعٌ صغير، بسيط في الظاهر، صنيع ما نسميه "pia fraus" هو اول من أرشدني: الكذب الورع، الموقف على كل الفلاسفة والقساوسة الذين "أصلحوا" الانسانية... ما شكّ مانو أو أفلاطون أو كونفوشيوس أو آباء اليهودية والمسيحية يوم في حقهم في ان يكذبوا... هناك حقوق اخرى كثيرة لم يشكوا فيها... يمكننا القول، إذا عمدنا الى استعمال صيغة: ان كل الوسائل التي كانت ستجعل الانسانية "اخلاقية" قد كانت، حتى الآن، لا أخلاقية للغاية.

ما ينقص الألمان

1

لا يكتفي الألمان الآن بأن يكون لهم عقل، يجب كذلك أن ينسبوه الى انفسهم، أن يتحلوه ...

قد يُسَلِّم الناسُ بأنني أعرف الألمان وبأن لي الحق في أن أقول لهم بعض الحقائق. تمثل المانيا الجديدة كمًا هائلًا من المزايا الموروثة والمكتسبة، بحيث يمكنها في وقت معين أن توزع، ويأسراف، كنوز القوى التي جمعتها. لم يكن ارتقاؤها ارتقاء ثقافة رفيعة، بل لم يكن ارتقاء ذوق رفيف او ارتقاء "جمال" الغرائز النبيل، وإنما كان ارتقاء فضائل أشد رجولية من تلك التي قد يقدمها أيُّ بلد اوروبي آخر. كثير من الاستعداد، من احترام الذات، حس سليم جدا في ميدان التبادل، في تناظر الواجبات، ميل للعمل، كثر من التحمل، واعتدال وراثي يستدعي المحرك أكثر مما يستدعي المكبح. سأضيف أن الناس

ففيها لا زالوا يطيعون دون أن تكون الطاعة مزدورية... ولا أحد يحتقر خصمه... ترون أن رغبتني هي أن أنصف الألمان، وحتى أظل وفيا لقصدي علي أن أقول ما أواخذهم به. أكتساب القوة يؤدي ثمنه غاليا. القوة تُبلى... كان هؤلاء الألمان فيما مضى يدعون "شعب المفكرين": ألا زالوا يفكرون اليوم؟ اليوم يحذر الألمان العقل، تستغرق السياسة كل جديتهم فيما يخص مسائل العقل. "ألمانيا ألمانيا فوق الكل": أنحشى أن يكون هذا قد دق قرعة حزن إيذانا بموت الفلسفة الألمانية.. يسألوني الناس في الخارج: "هل هناك فلاسفة ألمان؟ هل هناك شعراء ألمان؟ هل هناك كتب ألمانية جيدة؟" أحمر خجلا، لكنني أجيب، بالجدارة التي تميزني في أشد الحالات حرجا: "أجل، هناك بسمارك!" أكون علي أن أعترف بالكتب التي يقرأها الناس اليوم؟... غريزة قلة الذكاء الملعونة!

2

من لم يشعر بالكآبة وهو يتفكر فيما قد يكونه العقل الألماني؟ لكن هذا الشعب قد تبلى عمدا منذ ما يقارب ألف سنة: ما أفرط الناس، بشكل معيب، في استعمال الكحول والمسيحية، هذان المخدران الأوربيان المشهوران، في أي مكان آخر مثلما فعلوا في ألمانيا منذ زمن غير بعيد انضاف اليهما مخدر ثالث يكفي وحده لتوجيه الضربة القاضية لكل سرعة

خاطر دقيقة ومقدمة: أعني الموسيقى، موسيقانا الالمانية الثقيلة
والمشقلة... كم نجد في الذكاء الالمانى من جاذبية حزينة، من
خور، من رطوبة، من رجل قعدة مهمل، من جعة! كيف
يحدث أن لا يشعر الشبان الذين يندرون وجودهم لأسمى
مقاصد العقل في أنفسهم

بغريزة الحياة والعقل الاساسية. غريزة حفظ العقل - وأن
يشربوا الجعة؟ إدمان شباب العالم قد لا يشكك في علمه -
يستطيع المرء أن يكون عالما كبيرا دون أن يكون له أدنى قدر
من العقل - ، لكن ذلك يبقى مشكلة في ظل كل الاعتبارات
الآخري. أي مكان يغيب فيه هذا الانحطاط البطيء الذي
تحدثه الجعة في العقل؟ فيما مضى، في حالة صارت شبه
نمोजية، اكتشفت مثل هذا الانحطاط، انحطاط اول مفكر
المانى ملحد، دافيد شتراوس اللبيب الذي انحط الى مجرد
مؤلف انجيلي مشرب الجعة، مؤلف "الايمان الجديد"... لم
يكن غير ذي جدوى أدائه قسم الولاء لـ "لسمراء المحبوبة" في
أشعاره وقد ظل وفيا لها حتى موته.

3

قلت عن القل الالمانى أنه بدأ يصير أكثر فضاضة، أكثر
تسطحا. هذا كل شيء؟ في الحقيقة، إن ما يرعبنى شيء آخر
تماما: هو رؤيتي إلى حد تنحط الجدية الالمانية، ينحط

العمق الالماني، شغف الالمان بكل امور العقل. الحساسية الشغوفة تغيرت هي الاخرى - وليست العقلانية فقط. لي صلات ببعض الجامعات الالمانية هنا وهناك: ياله من جو وسط هؤلاء العلماء! يا لها من حياة فكرية فارغة، فائرة وقليلة التطلب! ولو أن أحدا عارضني هنا بالعلم الالماني فسيكون ذلك لا منطقية خطيرة - فوق ذلك، سيكون دليلا على أنه لم يقرأ ولو سطرا واحدا مما كتبت. منذ سبعة عشر عاما وأنا أبين التأثير "اللامروحي" لنشاطنا "العلمي" الحالي، وما آذني ذلك. إن الاسترقاقية الفظة التي حكم بها التوسع المريع للعلوم على الفرد في وقتنا الراهن فهي واحدة من الاسباب الرئيسية التي تجعل أشخاصا مترعين، جميلين وطيبين، عميقين، تجعلهم لا يجدون لا تربية ولا مربين في مستواهم. الذي تعاني منه ثقافتنا أكثر هو وفرة المقاولين المتخطفسين، وفرة الدراسات المجزأة للآداب القديمة. جامعاتنا هي، بالرغم عنها، عبارة عن مصاري حقيقية ينمو فيها هذا النوع من ضنى الغريزة التي يعاني منه العقل. وقد بدأت أوروبا كلها تتنبه إلى ذلك. "السياسة الكبرى" لا تتخدع أحدا... بدأت ألمانيا تصير سهل أوروبا أكثر فأكثر. لا زلت أبحث دون جدوى عن ألماني واحد أستطيع أن أكون معه جديا على طريقي - وبالأحرى ألمانيا أستطيع أن أكون معه مريحا! أفول الاصنام: من سيفهم بأية جدية يسعى فيلسوف هنا لأن يتسلى! المرح هو الشيء الذي نفهمه في أنفسنا بشكل أقل.

لنقم بعملية حسابية سريعة: غير جلي أن الثقافة الالمانية في انحطاط شامل فحسب، بل إننا لا نعدم أسباب تفسيرها. في النهاية، لا أحد يستطيع أن ينفق مما يملك

-ينطبق هذا على الافراد وعلى الشعوب كذلك. إذا أنفقنا على القوة، على السياسة الكبرى، على الاقتصاد، على المبادلات الدولية، على البرلمانية، على المصالح العسكرية، إذا أنفقنا كل ما نملك من هذا الجانب، إذا أنفقنا كلما نحن عليه من ذكاء، من جدية، من ارادة، من سيطرة على الذات، فإن كل هذا سينعدم في الجانب الآخر. الثقافة والدولة نقيضان- لانخطئن في ذلك- : إن فكرة دولة خالقة للثقافة فكرة حديثة. تحيا الواحدة على حساب الاخرى، تزدهر الواحدة على حساب الاخرى. كل العصور المزدهرة للثقافة هي عصور انحطاط سياسي كل ما هو عظيم في جانب الثقافة كان دائما غير سياسي، بل ومضادا للسياسة . لقد انفتح قلب غوته لظاهرة "نابليون"؛ وانغلق أمام "حروب التحرير" ... في اللحظة ذاتها التي تصعد فيها ألمانيا كقوة كبيرة تكتسب فرنسا اهمية متزايدة كقوة ثقافية . ومنذ ذلك الحين اختار جزء كبير من الجدية الجديدة، من الشغف الجديد بأمور العقل، باريس مقرا له: هكذا فإن مسألة التشاؤم، مثلا، مسألة فاغنر، كل

المسائل النفسية والفنية تقريبا تناقش في باريس بدقة وعمق لا يمكن أن نقارن معهما الدقة والعمق اللذين تناقش بهما في ألمانيا -الالمان أنفسهم عاجزون عن هذا النوع من الجدية. إن مجيء "الرايخ" يمثل، في تاريخ الثقافة الاوربية، انتقالا لمركز الجاذبية. اصبح الناس في كل مكان يعلمون هذا: لم يعد الالمان يلعبون أي دور بخصوص الاساسي (الذي يظل هو الثقافة. "يسألوني الناس: هل يمكنك أن تذكر عقلا واحدا ذا أهمية في أوربا، مثلما كانت لغوته، لهيجل، لهنريك هاينه، لشوبنهاور أهمية في زمنهم؟ أن لا يكون هناك الآن فيلسوف ألماني واحد، هذا ما لا يكف الناس عن الاندهاش له.

5

لقد فقد التعليم العالي في المانيا، فبي مجمله، ما هو أساسي: الهدف، وفقد كذلك الوسيلة لبلوغ هذا الهدف. أن تكون التربية العامة غاية في ذاتها - وليس "الرايخ" - وأن يكون المربي ضروريا لهاته الغاية (وليس استاذ التعليم الثانوي أو الباحث الجامعي)، هذا ما نسيه المسؤولون... ما ينقصهم مربون مربون هم أنفسهم، هي عقول متفوقة ومتميزة، تثبت قيمتها وإمكاناتها في كل الظروف بكلماتها وبصمتها، عقول تكون ثقافات حقيقية حية، ناضجة وشهية - وليس العلماء الاقفاظ الذين توفرهم الجامعة والثانوية للشباب مثل "مرضعات

متفوقات". المربون منعدمون إذا ما استثنينا استثناءات الاستثناءات: إن الشرط الاولي لكل تربية هو الذي ينعدم إذن؛ من ثمة انحطاط الثقافة الالمانية - صديقي المبجل، يعقوب بوركهارت، من بازل، واحد من هاته الاستثناءات النادرة، ان بازل مدينة له بكونها تحتل الرتبة الاولي في دراسة الاداب القديمة - وفي الـ "انسانية". في الواقع، ان ما يحصل عليه التعليم الالمانى الذي يسمى "عاليا" هو ترويض عنيف يمكّن، في اقل وقت ممكن، من جعل العديد من الشباب صالحين للاستعمال - صالحين للاستغلال - في خدمة الدولة. "تعليم عال" وتعدد لا يحصى، هذا تناقض بين في المبدأ. لا يخصص التعليم العالى الا للاستثناءات. يجب ان يكون المرء موهوبا كي يطمح الى مثل هذا الامتياز السامى جدا. لا يمكن ابدا ان تكون كل الاشياء العظيمة والجميلة من الاملاك العامة : est : *paucorum Hominum Pulchrum* 1. ما الذي يحدد انحطاط الثقافة الالمانية إذن؟ إنه كون "التعليم العالى" لم يعد امتيازاً - إنها النزعة الديمقراطية في الثقافة "العامة" التي اصبحت "شائعة" وعامية... لا ننسى ان الامتيازات التي يمنحها الجيش ترغم الناس على التردد على المدارس العليا بإفراط، ترغمهم اذن على تخريبها... في ألمانيا الحالية، لم يعد

(1) أشياء الإنسان القليلة جدا (م)

هناك احد حرا في إعطاء ابنائه تربية رقيقة، كل "مدارسنا العليا"، دون استثناء، مضبوطة على سطحية مربية جدا، في هيئتها التدريسية، في برامجها، في مثلها التربوي. وفي كل مكان تسود عجلة غير لائقة كما لو أن شيئا ما قد ضاع نهائيا، في الوقت الذي لا يكون فيه شاب في الثالثة والعشرين من عمره قد فرغ منها ولا يكون لديه جواب جاهز عن السؤال "الرئيسي": أية مهنة تختار؟ ... ان طبقة متفوقة من الناس، ولتغفروا لي ذلك، لا تحب سماع الحديث عن "المهن"، لانها تفتخر بأن لها موهبة... ان لديها متسعا من الوقت، انها لا تتعجل، لا تفكر في أن "تفرغ منها" - في الثلاثين من العمر، يكون المرء، من منظور الثقافة المتفوقة، لا يزال مبتدء، طفلا. ثانوياتنا المكتظة وأساتذتها المرهقون والمخبولون فضيحة حقة؛ للدفاع عن حالة الاشياء هاته، مثلما فعله حديثا اساتذة هايدلبرغ، يمكن ان تكون للناس دوافع لكنهم لن يستطيعوا ان يجدوا حججا.

6

حتى اظل وفيما لمزاجي، الذي هو ايجابي في الاساس ولا يتعاطى للنقد والمنازعة الالبشكل غير مباشر وعلى مضض، فإنني أسارع في عرض المهمات الثلاث التي لا بد لها من مربين. يجب أن نتعلم أن نرى، يجب ان نتعلم أن نفكر،

يجب ان نتعلم أن نتكلم وأن نكتب : الهدف من هاته المواد العلمية الثلاث هي ثقافة رقيقة. أن نتعلم أن نرى: أن نعود العين على الهدوء، على الصبر، على ترك الاشياء تأتي إليها، على تعليق الحكم، ان نتعلم الاحاطة بالجزء ونفهمه في إطاره الكلي. هذه هي المدرسة التمهيدية الاولى لحياة العقل: الا نستجيب فوراً لأي إغراء بل نعرف كيف نستغل الغرائز التي تكبح وتُعزل. ان نتعلم ان نرى هو، بالمعنى الذي افهمه، ان نمتلك تقريبا ما تسميه اللغة غير الفلسفية قوة الارادة: الاساسي هنا هو ان لا نريد فعل شيء ما، أن نعرف كيف نعلق قرارنا. يأتي كل موقف مضاد للروحانية، كل فظاظاة من العجز عن مقاومة اغراء ما: يجد الناس انفسهم مرغمين على الاستجابة، يخضعون لكل محرض نفسي. في كثير من الحالات يكون مثل هذا الارغام علامة مرض، علامة انحطاط، اشارة إنهاك. ليس كل ما تعرفه الفظاظاة غير الفلسفية تقريبا بكلمة "نقيصة" سوى ذلك العجز الفزيولوجي عن الاستجابة. النتيجة العملية لتربية العين هذه: فيما بعد، حيث سيكون على المرء أن يتعلم شيئاً ما سيكون قد صار بطيئاً، حذراً صموتاً. سيدع في بادئ الامر كل ما هو مجهول وجديد يقترب بهدوء معاد، ثم ينزع منه اليد بحذر تام. الميل مع كل ريح، السجود امام كل حدث تافه بمجاملة مفرطة، المسارعة في الارتقاء على الآخرين - وعلى كل ما هو آخر - باختصار، الموضوعية العصرية"

المشهوره تصدر عن اشد الاذواق فسادا، انها عكس التمييز
بامتياز*

7

ان نتعلم أن نفكر: ليست لمدارسنا ادنى فكرة عما يعنيه ذلك. حتى في الجامعات، بل وحتى ضمن أعلم الفلاسفة، يصير المنطق، بما هو نظرية وممارسة وتقنية نحو الافلاس. لنقرأ بعض الكتب الالمانية: لقد نسي فيها تماما أنه لكي يتم التفكير فلا بد من تقنية، من برنامج، من ارادة التحكم، انه لا بد من تعلم التفكير مثلما يتعلم الرقص، كنوع خاص من الرقص... من من الالمان يعرف، عن تجربة، تلك القشعريرة الخفيفة التي تنشرها مشية العقل المجنحة في كل العضلات؟ البلاهة العنيدة في حركات العقل، اليد المتثاقلة، هذا شيء ألماني بمكان بحيث لا يفرق الناس في الخارج بينه وبين العبقرية الالمانية. ليس للألماني مهارة فيما يخص الفروق*... ان كون الالمان قد استطاعوا تحمل فلاسفتهم، وخاصة اشد كسيحي الفكر دمامة على الاطلاق، كانط العظيم، إن ذلك يعطي فكرة صريحة عن الرقة الالمانية! - لا يمكننا ان نستعبد الرقص، بكل اشكاله، من تربية رقيقة: ان يعرف المرء كيف يرقص برجليه، بالافكارو بالكلمات. ألا يزال هناك داع لان نقول بأنه على المرء أيضا أن يعرف كيف يرقص بقلمه - بأنه عليه ان يتعلم ان يكتب؟

لكن، عند هذا الحد، سأكون قد صرت معمّي تماماً بالنسبة
لبعض القراء الألمان...

هذيان انسان «لأراهنى»¹

لا يطاقون (بالنسبة إلي)

سينيك : ا و مصارع الثيران من أجل الفضيلة.

روسو : او العودة الى الطبيعة in impuris naturalibus

شيلر : او «بوق ساكنجن» للاخلاق.

دانتى : او الضبع الذي ينظم الشعر على الاضرحه.

كانط : او لرياء باعتباره «طبعاً معقولاً».

فكتور هوغو : او المنارة على ساحل أقيانوس العذب.

لِسْتُ : او فن إطلاق العنان للإلهام... في إثر النساء...

جورج صاند : او la lactea ubertas ، او بتعبير آخر، البقرة الحلوب (ذات الاسلوب الانيق).

ميشليه : او الحماس في ذراع القميص.
كارلايل : او تشاؤم الفطور الذي لا يُهضم.
جون ستوارت ميل : او الوضوح الجارح.
الاخوة كونكور : او مبارزة البطلين اجاكس لهوميروس
(موسيقى أو فنياخ).
زولا : او «لذة الإنتان».

رينان

اللاهوت، او إفساد العقل ب « الخطيئة الاصلية»
(المسيحية). الشاهد هو رينان الذي بجانب الصواب بانتظام
مضن بمجرد ما يخطر بأن يقول نعم أو لا ذاتاً بعد عام. إنه
يريد، على سبيل المثال، ان يكون العلم* والنبالة* شيئاً واحداً
فقط. لكن العلم* يتساوى مع الديمقراطية. هذا شيء واضح.
إنه يود ان يجسد النزعة الارستقراطية للذهن - وليس ذلك
بالطموح الهين. لكنه، في الآن ذاته، يجثو - بل ينبطح - امام
العقيدة المضادة، إنجيل المتواضعين... ما جدوى كل «الفكر
الحر»، كل العصرية، كل السخرية، وكل رشاقة قفا أبولوي¹
في حين انه قد ظل، من كل اعماقه، مسيحياً كاثوليكياً، بل
وقسماً! إن رينان، مثل اليسوعي ومثل المعرف تماماً، يوظف
ابتكاره كله في فن الاغواء: فالعقلانية تبرز لديه ابتسامة
الاكليروس العريضة والمرائية - إنه، مثل سائر الكهان، لا
يصبح خطراً الا عندما يحب. لا احد يعرف مثله أن يتدله

بطريقة خطيرة للغاية... إن ذهن رينان هذا، الذهن الذي يشير
الاعصاب لهو كارثة اخرى لفرنسا المسكينة المريضة، المريضة
بالخمول.

3

سانت بوف

ليس فيه من الرجولية شيء: إنه ممتلئ بحقد حقير ضد
كل العقول الرجولية. انه يطوف، رشيقا، فضوليا، ضجرا،
راصدا، في الواقع انه امرأة حقيقية، وله ضغائن المرأة وشبقيتها.
عالم نفس، نابغ في الاغتياب* لا تعوزه الوسائل في هذا ابداء،
لا احد يعرف مثله ان يمزج التقريظ بالسب. عامي في غرائزه
الدنيا وقريب من حقد* روسو: بالتالي فهو رومانسي - لان في
كل رومانسي تدمدم وتزمر جر غريزة روسو، مولعة بالانتقام.
ثوري، لكن الخوف كبحة كثيرا. ليس له استقلال امام كل ما
يمثل قوة (الرأي العام، الاكاديمية، البلاط، بل وحتى Port
Royal متقرح بكل ما هو عظيم في الانسان وفي الاشياء،
بكل ما ينمو لذاته، هو حقا شاعر بما فيه الكفاية ونصف امرأة.
لكي يحس بالعظمة كقوة. متفوق باستمرار، مثل الخرطوم
تماما لانه يشعر دائما بأنه مداس. ناقد دون معايير، دون حزم
ودون كرامة، له فهم الفاجر، لكن دون ان تكون له شجاعة
الاقرار بفجوره*. مؤرخ دون فلسفة، دون قوة النظرة

الفلسفية. لذلك يتقاعس عن واجب اصدار الحكم امام كل ما له اهمية متدثرا بقناع الـ "موضوعية". يتصرف بخلاف هذا تماما حيثما يشكل الحجة الكبيرة ذوق دقيق وضجر، هناك تكون لديه الشجاعة فعلا لات لان يكون ذاته، تكون لديه رغبة في أن يكون ذاته- هناك يكون هو السيد. من بعض الجوانب، هو مسودة بودلير.

4

محاكاة المسيح واحد من تلك الكتب التي لا أستطيع أن أمسكها بين يدي دون رد فعل دفاعي من الجسد: إنه يفوح بعطر "الانثوي الخالد" القوي جدا بالنسبة لكل من هو غير فرنسي- أو فاغنييري... لهذا القديس الطريقة في التحدث عن الحب تثير فضول الباريزيات أنفسهم- قيل لي إن امهر اليسوعيين أوغست كونط. الذي أراد أن يعود بالفرنسيين الى روما بلفة العلم، قد استوحى هذا الكتاب. أود أن أصدق ذلك: "ديانة القلب"...

5

جورج إليوت:

الآن وقد تخلصوا من الاله المسيحي، فإنهم يعتقدون أنهم ملزمون باحترام الاخلاقية المسيحية بشكل دقيق: هذا منطق

إنجليزي محض، ولا ينبغي أن نحقد على صغار العجائز
الواعظات على طريقة* جورج إليوت، في إنجلترا، مقابل كل
تحرر بسيط من اللاهوت يجب أن يسترد الناس حقوقهم
بتطرف اخلاقي مريع. تلك هي الذعيرة التي يجب أداؤها.
الامر بخلاف ذلك بالنسبة لنا نحن المغايرين. فحين نتخلى عن
العقيدة المسيحية، فإننا ننزع عنا في نفس الوهلة كل حق في
الاخلاقية المسيحية. ليست هاته شيئا مسلما بكل بساطة:
إنها نقطة ألا ينبغي أن نكل من توضيحها مهما كان رأي
العقول الانجليزية المسطحة. المسيحية نظام، رؤية شاملة
ومتماسكة للأشياء. اذا نحن نزعنا منها فكرة اساسية، وهي
الايمان بالله، فإننا نهدم الصرح كله في نفس الوهلة: ولا يتبقى
بين ايدينا آنذاك شيء له ادنى لزوم. تفترض المسيحية في
المنطلق ان الانسان لا يعلم، لا يستطيع أن يعلم، ما هو خير له
وما هو شر له: إنه يؤمن بالاله الذي وحده يعرف ذلك.
الاخلاقية المسيحية امر قطعي: اصلها متعال، فهي فوق كل
نقد، فوق كل حق في النقد. ليس لها من حقيقة الا إذا كان
الاله هو الحقيقة - انها لا تستمر الا ما دام الايمان بالله
مستمرا. اذا كان صحيحا ان الانجليز يعتقدون انهم يعرفون
«الحسد» ما هو شر، ان كانوا يعتقدون انهم لم يعودوا
في حاجة الى المسيحية كضمانة لأخلاقيتهم، فإن هذا ليس
سوى نتيجة لطغيان حكم القيمة المسيحية وتعبير عن قوة

وعمق هذا الطغيان - الى درجة أن أصل الاخلاقية الانجليزية قد نُسي، الى درجة ان الناس لم يعودوا يشعرون بما لحقهم في الوجود من إمكان. بالنسبة للانجليزي، لا زالت الاخلاقية لم تصبح مشكلة بعد...

6

جورج صاند

لقد قرأت رسائل مسافر الاولى: إنه كتاب، مثل كل ما يصدر عن روسو، مزيف، مختلق، فارغ ومتكلف ومبالغ... لا اطبق اسلوب النجود المبرقشة هذا، كما لا اطبق الطموح العامي الى عواطف نبيلة. يظل الاسوء هو هذا الغنج الانثوي الذي تصاحبه مظاهر ذكورية، يصاحبه سلوك ولد اسيثت تربيتته. - ستكون هاته "الفنانه" التي لا تطاق وانية الشبق بسبب كل هذا! كان تتقوى مثل رقاص الساعة وتكتب، تكتب... باردة مثل هيجو، مثل بالزاك، مثل كل الرومانسيين حين يشرعون في النظم! بأي عجب كانت تستطيع أن تتفاخر، بقرّة الآداب الحلوب الثرة هاته، هي التي كان فيها، تماما مثل روسو، معلمها، شيء ما ألماني، بالمعنى الرديء لهاته الكلمة، وانحطاط الذوق الفرنسي وحده الذي جعله ممكنا على كل حال! - لكن رينان مفتون بها...

أخلاقية مخصصة لعلماء النفس

لا تمارسوا علمَ نفسِ روايةٍ مسلسلة! لا تلاحظوا ابداً من أجل الملاحظة! فذلك يخلف عيباً في النظر، خزرة، شيئاً متكلفاً ومفرطاً. التجربة المعيشة على سبيل التجربة عمداً، - لا تفضي الى شيء. في التجربة المعيشة، لا يجب ان ننظر الى انفسنا ونحن نحيا، لان كل نظرة تصير انذاك نظرة «عين لامة». إن عالم النفس بالولادة يتجنب، فطرياً، ان ينظر من أجل النظر: وكذلك الشأن بالنسبة للرسم بالولادة، انه لا يشتغل ابداً «نقلا عن الطبيعة»: انه يكلف سليقته، *obscura sa camer*¹ بانتقاء «الحالة الفريدة»، انتقاء الـ «طبيعة»، انتقاء الـ «معيش». والتعبير عنها... انه لا يعي إلا العام، إلا الخاتمة، إلا النتيجة: إنه لا يعرف هذا التعميم التعسفي انطلاقاً من الحديث الفريد. ماذا يجري حين نتصرف بخلاف ذلك؟ مثلاً، حين نطبق علم نفس الرواية المسلسلة جملة وتفصيلاً، مثل لروائيين* البارسيين؟ ذاك يراقب لكم الطبيعة على نحو ما، ذاك يحمل لك إلى المنزل كل مساء حفنة من الوقائع العجيبة... لكن يكفي أن نرى ما ينتج عنها في نهاية المطاف: ركाम من البقع، فسيفساء في أحسن

(1) قبة المعتمة (م)

الاحوال، وعلى أي حال شيء ملفق، صخاب، مضطرب. في هذا النوع، الاخوة كُونكور هم الذين يحصلون على أسوء نتيجة إنهم لا لا يرصفون ثلاث جمل لا تؤذي الانظار - انظار عالم النفس، كما يُفهم من ذلك. - إن الطبيعة، منظورا إليها من وجهة نظر الفن ليست نموذجاً. إنها تغالي، تشوه، وتترك بقعا بيضاء. الطبيعة هي الصدفة. الدراسة "نقلا عن الطبيعة" تبدو لي سمة مشينة: إنها تكشف عن العبودية، عن الجبن، عن القدرية - هاته الطريقة في تعفير الجبين بين يدي الاحداث **التافهة*** غير جديرة بفنان متكامل. أن ترى ما هو كائن، تلك ميزة طبقة أخرى من العقول، مضادة للفنان وعامية. يجب أن نعلم من تكون.

8

بصدد علم نفس الفنان

لكي يكون هناك فن، لكي يكون هناك فعل ونظرة جماليان، لا بد من شرط فزيولوجي: الانتشاء. لا بد أولاً أن تكون انفعالية كل الآلة قد كشفتها النشوة. كل أنواع النشوة مهما يكن مصدرها، لها هاته القدرة خصوصاً نشوة التهيّج الجنسي، أقدم أشكال النشوة وأشدّها بدائية. ثم تليها النشوة التي تسببها كل الرغبات الكبرى، كل الانفعالات الشديدة. نشوة العيد، نشوة المبارزة، نشوة الإقدام، نشوة النصر، نشوة

كل تهيج عنيف: نشوة الفظاظة، نشوة الهدم - النشوة الناتجة عن بعض الاحوال الجوية (الاضطراب الربيعي مثلاً)، أو تحت تأثير المخدرات، أخيراً تأتي نشوة الارادة، نشوة إرادة تم كبحتها طويلاً، وهي متأهبة للانفجار. - الاساسي في النشوة هو الاحساس، هو تكثيف القوة، تكثيف الكمال. هذا الاحساس هو الذي يدفع الانسان الى وضع شيء من ذاته في الاشياء، الى إرغامها على احتواء ما يضعه فيها، الى التعسف في حقها: هذا ما يسمى الأمثلة. لتخلص هنا من حكم مسبق: أن الامثلة لا تقتضي إطلاقاً، مثلما يعتقد الناس عادة، أن نغض الطرف عما هو حقير وثنوي - أو أن نتملص منه - . الشيء القاطع، على العكس، هو إظهار الملامح الرئيسية بشدة تمحي الأخرى.

9

في هذه الحالة يُغني الانسانُ كل شيء بكامله هو، وكل ما يراه، كل ما يردده، يراه جريئاً، متوتراً، قوياً، حافلاً بالقوة. الانسان الذي يعرف هذه الحالة يغير ملامح الاشياء إلى أن تعكس له صورة قوته - إلى أن تصير مجرد انعكاسات لكماله. إن الذي يضطره لأن يغير كل شيء، لأن يصير كل شيء كاملاً، هو... الفن. حتى كل ما ليسه الانسان يصير، رغم كل شيء، فرصة له ليستمتع بكينونته: في الفن، يجني

الانسان متعة من رؤية نفسه كاملا. وسيكون من الجائز أن نتخيل حالة مضادة، طبعاً غريزة مضادا للفن تخصيصا، طريقة في العيش تفقر الاشياء، تفرغها من جوهرها، تصيبها بفقر الدم. والتاريخ، في الحقيقة غني بمثل هؤلاء الفنانين المضادين، النهمين الذين لا يشبعون، المتعطشين الى الحياة، الذين لا يستطيعون الامتناع عن استهلاك الاشياء، عن افتراسها، عن تجريدتها من اللحم. إنها، على سبيل المثال، حالة المسيحي الحق: إذا باسكال. المسيحي الذي سيكون فنان كذلك، هذا شيء غير موجود... لا يذهبن بكم الطيش الى أن تعارضوني برفائل، أو بأي من المسيحيين التجانسين في القرن التاسع عشر. رفايل كان يقول «نعم»، رفايل كان يجعل من كل ذاته «نعم» وبالتالي لم يكن رفايل مسيحيا...

10

ما ذا يعني المفهومُ الثنائي القطب الذي أدخلته في علم الجمال، مفهوم **الابولوني والديونيزوسي** (يعبر المصطلحان عن شكلين من النشوة) - النشوة الابولونية تهيج بشكل خاص العينَ التي تتلقى منها قوة الرؤية: الرسام، النحات والشاعر الملحمي هم راثون بامتياز*. في الحالة الديونيزوسية، على العكس، فإن مجموع الحساسية هو الذي يُثار ويهيج إلى درجة أنه يفرغ وسائل تعبيره دفعة واحدة وفي الوقت ذاته

يُكثّف قوته في التمثيل، في المحاكاة، في تغيير الملامح، في التحول، يكثّف، كل أشكال فن المومي والكوميدي. ويبقى الشيء الاساسي هو يُسرُّ التحول، هي الحالة الحرجة التي يكون فيها المرء ممن ليس لهم رد فعل (تماما مثل بعض الهيستريين الذين يمثلون أي دور منذ اول حث لهم). يستحيل على الديونيزوسي ألا ينتهز ادنى اقتراح - إنه لا يدع أية إشارة من التأثيرية تمر، إنه يملك أعلى مستوى من غريزة الفهم والتخمين مثلما يملك فن التواصل في أعلى مراتبه، إنه يلج أي جلد، أي انفعال: لا يكف عن التحول... إن الموسيقى مثلما نفهمها اليوم، هي كذلك تهيج كلي، تفريغ كلي للانفعال، لكنها ليست مع ذلك سوى إثارة عالم تعبير انفعالي أشد كثافة، ليست سوى بقية من التمثيل الديونيزوسي. لكي تصير الموسيقى فنا مغايرا للفنون الاخرى اقتضى الامر إخماد سلسلة من الاحاسيس بأكملها، وخاصة إحساس النشاط العضلي (نسبيا، على الاقل، لأنه لا يزال كل ايقاع يخاطب عضلاتنا الى حد ما): بحيث أن الانسان لم يعد يحاكي جسديا كل ما يشعر به على التو ولم يعد يومئ به. ومع ذلك فهاته هي الحالة الديونيزوسية العادية أو على الاقل الحالة البدائية. الموسيقى "تخصّص" تم اكتسابه ببطء من هاته الحالة التي تشكلت على حساب ملكات أخرى، تلك التي كانت اكثر اقترابا منها.

بأمر من غرائزهم فإن الممثل والمومي والراقص والموسيقي والشاعر الغنائي انساب بشكل دقيق وممتزجون في الاصل، لكنهم تخصصوا وابتعدوا واحد عن الآخر - حد التعارض. الشاعر هو الذي بقي مرتبطا بالموسيقى لا طول مدة؛ مثلما الممثل مع الراقص. المهندس المعماري لا يشكل حالة أبولونية ولا حالة ديونيزوسية: فعل الارادة الكبير، الارادة التي تهد الجبال، نشوة الارادة الكبيرة، هو الذي يريد ان يصير فنا هنا. لقد كان الرجال الاقوياء دائما مصدر إلهام للمهندسين المعماريين. لقد كان المهندس المعماري دائما خاضعا لاقتراح السلطة. على الصرح ان يظهر للعيان الأنفة، التغلب على الجاذبية، إرادة القوة. الهندسة المعمارية نوع من بلاغة القوة التي تعبر عن نفسها بأشكال مقنعة حيناً، او حتى متملقة، وأمرة فقط حيناً آخر. إن أعلى مراتب الاحساس بالقوة وبالايمان يتوضح في كل عمل من الطراز الرفيع. القوة التي لم تعد في حاجة الى براهين، التي تسخر من إرضاء الآخرين، التي لا تملك جوابا ميسورا، التي لا تشعر بشهود حولها التي تحيا دون أن تعي المعارضات التي تثيرها، التي تقوم في ذاتها، قدرية، قانونا ضمن القوانين: هذا هو الطراز الرفيع الذي يتحدث عن نفسه.

لقد قرأت حياة توماس كارلايل، هذه الهرجة* اللاإرادية
واللاواعية، هذا التفسير البطولي - الواعظ لحالات عسر
الهضم... كارلايل، رجل الكلمات البليغة والمواقف المبالغ
فيها، خطيب متصنع من باب الحاجة، باستمرار تدغدغه
الحاجة الى ايمان قوي و يدغدغه الاحساس بأنه كان عاجزا عن
بلوغه (في هذا، كان رومانيا حقيقيا!). الحاجة الى ايمان قوي
ليست علامة ايمان قوي، انها العكس على الاصح، حين نتوفر
عليه يمكننا أن نسمح لأنفسنا، على غير العادة، بممارسة
الشكوكية-حين نكون جد واثقين، جد حازمين، جد
راسخين، جد ملتزمين لنقوم بهذا. إنك كارلايل، بشدة توقيره
لذوي الايمان، وباستشاطته غضبا ضد اولئك الذين هم أقل
سذاجة، يحاول أن يزعج شيئا ما فيه: هو في حاجة الى
ضجيج. إن ما يعود له تماما، ما يجعله وسيظل يجعله مهما،
هي عدم استقامة ثابتة وانفعالية تجاه نفسه. لاشك أن الناس،
في إنجلترا، يعجبون به بالضبط لاستقامته... هذا شيء انجليزي
محض: وإذا تفكرنا أن الانجليز هو شعب الرياء التام فإن هذا
شيء عادي تماما، بل ومفهوم. في الواقع، كارلايل ملحد
إنجليزي يدعي نخوة عدم كونه كذلك.

إيمرسون

أكثر استنارة، أكثر بحثاً، أكثر تعقيداً من كارلايل، وأكثر
سعادة بالخصوص...

وتحد من أولئك الذين، فطرياً، لا يتغذون إلا بالرحيق¹
ويدعون جانباً كل ما هو غير قابل للهضم في الأشياء. إنه
ذواقة بالمقارنة مع كارلايل. كارلايل الذي كان يحبه كثيراً،
كان مع ذلك يقول عنه «إنه لا ينيلنا كل ما نتوقع»،
الشيء الذي يمكن أن يقال بحق، لكنه يبقى تشریفاً لإيمرسون.
- يتوفر إيمرسون على هذا الفرحة العطوف والفائض بالدعابة
الذي يجرد الجسد من سلاحه. إنه لا ينتبه إلى أي حد قد صار
شيخاً، إلى أي حد سيظل شاباً في المستقبل. يمكنه أن يسترجع
لصالحه كلمة Lope de vega: «Yo me succedo a mi mismo»¹، دائماً يجد ذهنه أسباباً ليكون راضياً بل ومعتزفاً
بالجميل. وأحياناً يبلغ صفاء ذلك الرجل الشجاع العائد من
موعد غرامي Ut desint vires Tanquem re bene gesta
2 صرخ معترفاً بالجميل، 3tamen est laudanda volupta

(1) «أنا أخلف نفسي» (م)

(2) وكأنه حقق عملاً باهراً (م)

(3) لتسترق القوى، فإن اللذة تظل جذيرة بالاطراء (م)

ضد داروين

فيما يخص مقولة «الصراع من أجل الحياة» المشهورة، فإنها تبدو لي حتى الآن منادى بها أكثر مما هي مبرهن عليها. يمكن لها أن تحدث، لكن هذا استثناء: الميزة الغالبة للحياة ليست هي القحط بقا، ليست هي المجاعة، بل هي على الاصح الغنى، الوفرة بل والتبذير العشي - حيثما يكون صراع فهو صراع على السلطة... ينبغي أن لا نخلط الطبيعة مع مالتوس. - وحتى إن اعترفنا أن هذا الصراع يحدث فعلا - وإنه، فعلا، يحدث أحيانا - فإن نهايته معاكسة لتلك التي تتمناها مدرسة داروين، والتي ينبغي للناس، ربما، أن يتمنوها معها: إنه ينتهي على حساب الاقوياء، على حساب ذوي الامتياز، على حساب الاستثناءات المحظوظة. لا تنمو الانواع في اتجاه الكمال. يتفوق الضعفاء على الاقوياء أكثر فأكثر - ذلك لأنهم أكثر عددا، ولأنهم كذلك أكثر ذكاء... لقد نسي داروين العقل (هذا النسيان شيء انجليزي بالفعل)! والحالة أن الضعفاء أكثر نباهة... يجب أن نحتاج الى الذهن كي نتوصل إلى أن يكون لنا ذهن - إننا نفقده حين لا نعود في حاجة إليه. الذي يتوفر على القوة يستغني تماما عن الذهن (« لا تتعلق به... »، يعتقد الناس في ألمانيا اليوم، « فالرايخ ملك لنا... »).

إنني أعني بالذهن، كما ترون، الحذر، الاناة، الحيلة، الاخفاء،
السيطرة على الذات، وكل ما هو إيماء (الشيء الذي ينبغي أن
نلحق به جزءا كبيرا من الفضيلة المزعومة).

محتويات الكتاب

- حكم وإشراقات 8
- قضية سقراط 17
- ال « عقل » في الفلسفة 25
- حتى نختم، كيف غدا ال "عالم الحقيقي" خرافة 33
- الاخلاق طبيعة مضادة 35
- الاخطاء الاربعة الكبرى 44
- الذين يريدون "إصلاح" البشرية 57
- ما ينقص الالمان 64
- هذان انسان "لأراهنى" 75

NIETZSCHE

أفول الأصنام

هذه الصفحات - كما يشي بذلك العنوان - هي قبل كل شيء تسليية، لفحة شمس، أو فسحة في خضم وقت الفراغ الدراسي لدى عالم النفس. ربما تعلن كذلك عن حرب جديدة؟ وربما تسمح لنا بالإصغاء إلى أصنام جديدة... إن هذا الكتيب إعلان كبير للحرب أما الأصنام التي يتعين الإصغاء إليها، فهي ليست هذه المرة أصنام العصر، إنها أصنام خالدة، نضربها هنا بالمطرقة كما لو بمعيار النغم - ليست هناك أصنام أقدم منها، أشد وثوقية منها فيما فعلته، أكثر منها تعجرفا بأهميتها... وليست هناك أصنام أفرغ منها... وهذا لا يمنعها من أن تكون هي الأصنام التي يؤمن بها الناس أكثر. ومع ذلك فإن الناس لا ينادونها، خصوصا أكثرها تميزا، بالأصنام...

To: www.al-mostafa.com